العتبة العلوية المقدسة
النجف الأشرف عاصمة الثقافة الإسلامية عام ٢٠١٢

تأليف
السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني

ما هو نهج البلاغة

علق عليه
السيد عبد الستار الحسيني

العتبة العلوية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
٢٠

ما هو نهج البلاغة

تأليف

السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني

علق عليه

السيد عبد الستار الحسني

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى

سماحة سيدنا العلامة الكبير

أستاذ المحققين آية الله

السيد محمد رضا الحسيني الجلالي (دام عزه)

راجياً أَنْ يَقَعَ منهُ مَوْقِعَ الرضا والقبول...

عبد الستّار

www.imamali-a.net

info@imamali-a.net

الكتاب : ما هو نهج البلاغة.

المؤلف : السيد هبة الدين الشهرستاني.

علق عليه : السيد عبد الستار الحسني.

الإشراف : قسم الشؤون الفكرية والثقافية.

التنضيد : علي عبد الله.

الإخراج الفني: حيدر الفرطوسي.

محل الطبع و تاريخه : النجف الأشرف – ٢٠١٠ م / ١٤٣١هـ.

المطبعة :

الناشر : العتبة العلوية المقدسة / قسم الشؤون الفكرية والثقافية.

عدد النسخ :

رقم الإيداع في دار الكتب و الوثائق ببغداد ١٦٤٦ لسنة ٢٠٠٩

قيل في نهج البلاغة

❖ذلك الكتاب الجليل هو جملة ما أختاره السيد الشريف الرضي رحمه الله من كلام سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. جمع متفرقه وسماه بهذا الاسم (نهج البلاغة) ولا أعلم اسماً أليق بالدلالة على معناه منهُ. وليس في وسعي أن أصف هذا الكتاب بأزيد مما دل عليه أسمه، ولا أن آتي بشيء في بيان مزيته فوق ما أتي به صاحب الاختيار. (محمد عبده/ شرح نهج البلاغة ص٤)

❖ففي كتاب نهج البلاغة، فيض من آيات التوحيد والحكمة الإلهية تتسع به دراسة كل مشتغل بالعقائد وأصول التأليه وحكمة التوحيد. (عباس محمود العقاد/ عبقرية الإمام علي: ص١٢)

❖لا مفر من الاعتراف بان (نهج البلاغة) له أصل، وإلا فهو شاهد على أن الشيعة كانوا أقدر الناس على صياغة الكلام البليغ. وإني لأعتقد أن النظر في كتاب نهج البلاغة يُورث الرجولة والشهامة وعظمة النفس، لأنه فيض من روح قهَّار واجَه المصاعب بعزائم الأسود. (الدكتور زكي مبارك/ عبقرية الشريف الرضي: ج١ص٢٢٣)

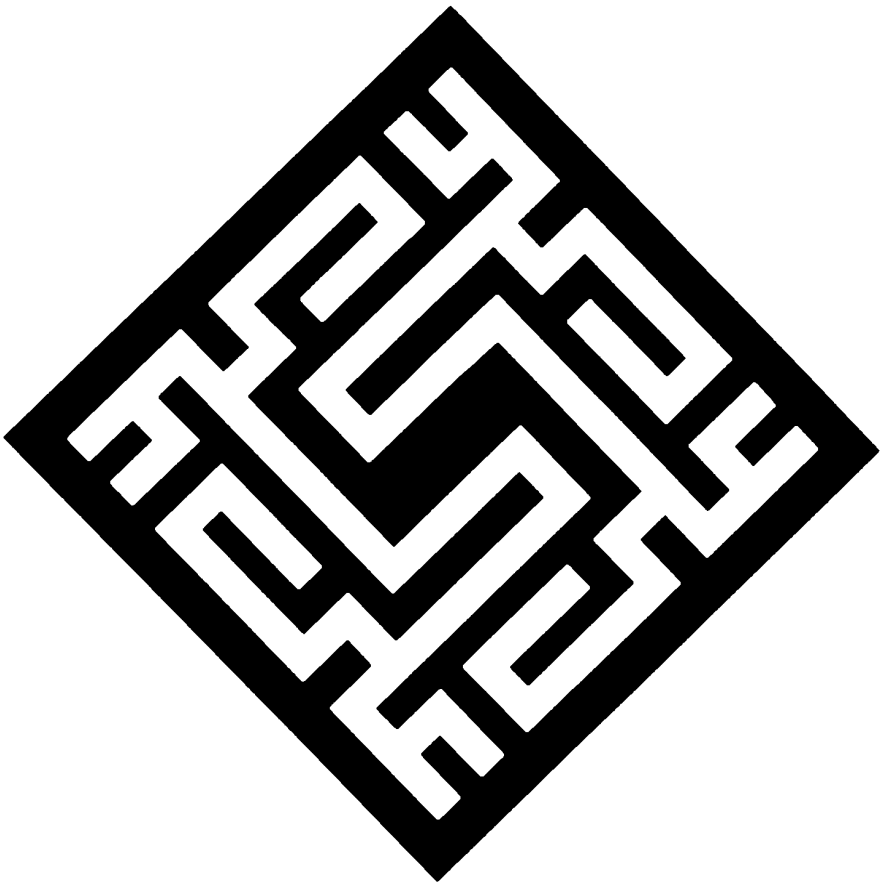

مقدمة

قسم الشؤون الفكرية و الثقافية

الحمد لله الذي أظهر من آثار سلطانه وجلال كبريائه ما حيَّر لُبَ العقول من عجائب قدرته وورع خطرات همام النفوس عن عرفان كنه صفته، وصلى الله على رسوله الصادع بالحق والناصح للخلق والهادي إلى الرشد والأمر بالقصد، وعلى أهل بيته أزِّمة الحق وألسنة الصدق.

لا يختلف اثنان بان الإمام أمير المؤمنين ومولى الموحدين عليه السلام هو مشرع الفصاحة وموردها ـ بعد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ـ ومنشأ البلاغة ومولدها، ومنه عليه السلام ظهر مكنونها، وعنه أخذت قوانينها فكلامه عليه السلام فيه مسحة من العلم الإلهي وفيه عبقة من الكلام النبوي، لذا صار كلامه وحديثه موضع اهتمام الباحثين ورجال الفكر من كل عصر وجيل وسيبقى كذلك ما دامت العقول تكتشف منطلقات جديدة لبناء هذا الإنسان حتى يعود إلى الصورة التي أراد لها الله تعالى أن تكون.

وقد جمع الشريف الرضي مختارات من كلام خير من أعتلى منبراً بعد الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وصنفها إلى ثلاثة أقسام هي:

الخطب واختار ٢٤٢ خطبة.

الكتب واختار ٧٨ كتاباً منها الطويل ومنها القصير.

الحكم أو قصار الكلم واختار ٤٩٨ عبارة أو الكلمات القصار.

وقد جزم الكثير من الكتاب ومنهم الكاتب والمؤرخ الشهير عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي بأن المجموع في نهج البلاغة من الدفة إلى

الدفة معلوم الثبوت قطعي الصدور من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من فمه أو من قلمه.

وهناك بعض أرباب الهوى يقولون أن كثيراً من نهج البلاغة كلام مُحدث صنعهُ قوم من فصحاء الشيعة وربما عزوا بعضه إلى الرضي أبي الحسن وغيره.

فانبرت الأقلام الطاهرة والنفوس الكريمة لتبين الحقائق لكل من يحاول أن يغمض عينيه في واضحة النهار، فهذا الكتاب لمؤلف غني عن التعريف يجلي الحق لذي عينين لمعرفة كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

ومن أجل الحفاظ وإحياء الكتب التي أثرت المكتبة الإسلامية بكل ما يتعلق بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام، قام قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العلوية المقدسة بالطلب من السيد العلامة المحقق عبد الستار الحسني بتحقيق كتاب (ما هو نهج البلاغة) لمؤلفه السيد هبة الدين الشهرستاني وقد استجاب كريماً، ونتقدم بالشكر الجزيل إلى مركز إحياء تراث السيد هبة الدين الشهرستاني في الكاظمية المقدسة لما بذلوه من تعاون كبير من خلال تزويدنا بالنسخة الخطية لهذا الكتاب وإبداء التعاون مستقبلاً.

وبعد الانتهاء من أعمال المراجعة والمطابقة بجهود منتسبي قسم الشؤون الفكرية والثقافية قام القسم بطباعة هذا الكتاب ونشره خدمة للدين والمذهب وطلاب الحقيقة.

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين

يعدُّ كتاب (نهج البلاغة) من أهم الكتب التي حفظت للمكتبة الإسلامية مكانتها العالية في مجال العلم والأدب والتراث، فقد حوى هذا السِفْرُ الخالد كلامَ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي تغذى من مدرسة خاتم النبيين والمرسلين ص فكانت كلماته توحي إلى ذلك الأصل العظيم الذي مصدره الوحي الإلهي المبين...

ومَنْ تتبع تلك الخُطَب والكلمات، والوصايا والمواعظ لنهج البلاغة لتجسَّدَتْ هذه الكلمات الصادقة بحقائق معهودة لا يدانيها أدنى ريب... ولذا رأينا اهتمام المفكرين والأدباء - من المسلمين وغيرهم - من المُطَّلعين على بلاغة لغة العرب وأسرارها بهذا الكتاب منذ قرونٍ عدة لما يحويه من الوحي الصادق والإيمان البليغ...

ومن تلك الكلمات التي وردت فيه ما قاله المستر (كربنكو) أستاذ الآداب العربية في كلية (عليكَره) الهندية عندما سُئلَ عن إعجاز القرآن الكريم، فقال: (إنَّ للقرآن أخاً صغيراً يسمى نهج البلاغة، فهل في إمكان أحدٍ أن يأتي بمثل هذا الأخ الصغير، حتى يسوغ لنا البحث عن الأخ

الكبير...)، وقال الشيخ (ناصيف اليازجي) يوصي ولده: (إذا شئتَ أن تفوق أقرانك في العلم والأدب، وصناعة الإنشاء، فعليك بحفظ القرآن ونهج البلاغة)، ويقول الأستاذ الكبير (جورج جرداق): (مَنْ تتبع سِيَر العظماء الحقيقين في التاريخ لا فرق بين شرقيٍّ منهم أو غربيٍّ، ولا قديم ولا مُحْدَث، أدركَ ظاهرة لا تخفى، وهي أنهم على اختلاف ميادينهم الفكرية وعلى تباين مذاهبهم في موضوعات النشاط الذهني أدباء موهوبون على تفاوتٍ في القوة والضعف... هذه الحقيقة تتركز جلية واضحة في شخصية علي بن أبي طالب، فإذا هو الإمام في الأدب، كما هو الإمام في ما أثبت من حقوقٍ، وفي ما عَلَّمَ وهدى، رآيته في ذلك (نهج البلاغة) الذي يقوم في أُسُسِ البلاغة العربية في ما يلي القرآن من أُسس...) فهذه الكلمات القيمة وغيرها نراها تقرن نهج البلاغة بالقرآن الكريم، وهذه حقيقة ناصعة لا تخفى على كل مُنصِفٍ... ولكن العجب كل العجب من أولئك الذين يحاولون التشكيك في هذا الكتاب لا شيء سوى أنه تصدى لإظهار الحقيقة كما هي...

لذا تصدى سماحة السيد (هبة الدين الحسيني الشهرستاني) في إحدى صولاته في الدفاع عن الإسلام وتراثه في مؤلَّفه (ما هو نهج البلاغة) ليرد تلك الشبه والافتراءات ... فكان عملاً كبيراً في بابه...

ومركز إحياء تراث السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني يَسُرُّها أَنْ ترى هذا المجهود الذي قامت به الثلة الطيبة في قسم الشؤون الفكرية في العتبة العلوية المقدسة وبالتعاون مع العلامة الجليل السيد (عبد الستار الحسني) لإخراج هذا الكتاب بحُلَّتِهِ الجديدة الملحقة ببعض

التعليقات المهمة...

وفي الختام نبارك لهم ذلك ونتقدم بالشكر والعرفان لعملهم في خدمة تراث أهل البيت وكذا شكرنا المتواصل إلى الأمانة العامة للعتبة العلوية المقدسة لدعمها طباعة تراثنا الإسلامي...

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

مركز إحياء تراث

السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني

الثلاثاء

٤ من شهر رمضان المبارك

لعام ١٤٣٠هـ الموافق ٢٥/

٨/٢٠٠٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ الّذي هَدى الصَّفْوَةَ مِنْ عِبادِهِ المُخلَصين لاسْتِكْناهِ (بَلاغَةِ النهج) واسْتجلاء (نَهْجِ البلاغَةِ) الذي لم تَكْتَحِلْ بشَرْواهُ مُقَلُ النّاظِرِيْنَ، مِمّا أُوْدِعَ في زُبُرِ الأوَّلِين، والصَّلاةُ والسّلامُ عَلى أَفْصَح مَنْ نَطَقَ بالضّادِ من الأَوَّلين والآخرين، مُحَمَّد بْنِ عَبْدِ اللهِ الَّذِيْ أُوْتِيَ (جَوامِعَ الْكَلِمِ) وَمَلَكَ ناصيَةَ الْبيانِ وَالتَّبْيْين، وَعلى آلِهِ الحائزِينَ قَصَبَ السَّبْقِ في مضَامير مَهَرَةِ الْمُفَوَّهْينَ وَالأَبْيناءِ الْمُوْعِيْن، لاسيّما سيدِّهم إمام البُلغاءِ المُخْرِسِ شَقاشِقَ الْخُطَباءِ وَالمُتكلّمين، عَلِيٍّ أمير المؤمنين ويعسوب المُوَحِّدِين.

وَبَعْدَ: فَبَيْنَ يَدَيْكَ أيُّها القارِئُ الكريمُ هذا السِّفْرُ النفيس، والأَثَرُ النادِرُ الْمَرْقُوْمُ بِمِزْبَرِ جِهْبذٍ ناقِدٍ بَصِيْرٍ نِقْرِيس؛ مِنْ رَشَحاتِ يَراعِ عَلَمِ الأَعلام المجتهدِ الكبير آية الله الإمام المُصْلِحِ المُجاهِدِ السَيِّد هِبَة الدين الشهرستانيّ قُدّسَ سرُّهُ، وَهُوَ كَسائِرِ آثارِهِ الْمُمْتِعةِ الثَّمينةِ من حيث الرصانةُ وحُسْنُ الترصيف والتّنْسِيْقِ، ذادَ فيه عَنْ حِياضِ (النهج) العَلَوي وَفَنَّدَ الشّبُهاتِ الْمُوَجَّهةَ إليه بأُسْلُوْبِهِ الرائِع وَبَيانِهِ المُعْجِزِ الْماتِع. وَقَدْ مضى على طَبعاتِهِ السابِقَةِ حِيْنٌ مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى نَفِدَتْ نُسَخُهُ. فكان ذلك مِنْ دَواعي إعادة نَشْرِهِ.وكانَ الْفَضْلُ الأَوَّلُ في إحياء هذا الأَثَر النّادِر وَالرقيم الْباهِرِ للسيّد الباحِثِ الشابّ المُهَذَّبِ عَلِيّ نَجْلِ الشريف الوجيه السيّد عبد الله الغُرَيْفيّ النَّجفيّ سَدَّدَهُ الله وَثبَّتَهُ على الصراط المستقيم.

وَهوَ الذي أَوْلاهُ من العِنايةِ والنَّظَرِ ما يَجِدُهُ القارئُ واضحاً جَلياً؛ إذْ

قامَ بخِدْمتِه خِدْمَةً مشكورةً مِنْ ذِكْرِ شُرُوح لِلنَّهْج أَضافها إلى ما ذَكَرَهُ سَيِّدُنا الإمامُ الشهرستاني قُدِّسَ سِرُّهُ، وَذِكْرِ تَرْجَماتِ[١] الأعلامِ المذكورين في مَتْنِ الْكِتابِ مَعَ الإشارةِ إلى مَظانِّ هاتِيْكَ الترجمات. أمّا أنا فليس لي فيه إلاّ النّظرة العَجْلى بَسبب ضِيْقِ الْمجالِ وَانْحرافِ الصِحَّةِ.

وَكَتَبَ على جهة الإيجاز العبد الآبقُ

عبد الستار الحسنيّ

النجف الأشرف

١٥/شعبان المعظم/١٤٣٠هـ

(١) الترجمات جمع الترجمة، أما التراجم فهي جمع الترجمان.

طَبَعاتُ الكتاب

طُبِعَ هذا الكتابُ النَّفيس -في حدود ما أَعْلَمُ- خَمْسَ طَبَعاتٍ كانَتْ أَرْبَعٌ مِنْها في حَياةِ السَّيدِ الْمُؤلّفِ وَواحِدَةٌ مِنْها بَعْدَ وَفاتِهِ وَدُوْنَكَ ذِكْرَها مُرَتَّبَةً على تأريخ صُدُوْرِها:

١. طَبْعة صَيْدا في مطبعة الْعِرْفان لصاحِبها العلاَّمةِ الأديب الشيخ أحمد عارف الزَّيْن مُنْشِئ مَجلّة (العرفان) وَمُؤسِّس مَطْبعَتِها. وتأريخ صدورها في سنة (١٣٥٢هـ).

٢. طبعة مترجمة باللغة الفارسية باسم (نهج البلاغة جبست)، ترجمه الشيخ ضياء الدين نجل الشيخ يوسف الشيرازي آل صاحب الحدائق[١].

٣. طبعة بَغْداد، مطبعة الحاجّ علي محمد الاعتماد الكاظميّ.

٤. طبعة النَّجف الأشرف، مطبعة النُّعمان وتأريخ صدورِها في سنة (١٣٨٠هـ).

٥. طبعة النّجف الأشرف، دار الثقافة وتأريخ صدورها في سنة (١٣٨٠هـ).

٦. طَبْعَة طِهْران في سَنَةِ (١٤٠٠هـ)[٢].

وتمتازُ طبعتُنا هذه مِنْ[٣] سائر الطَّبَعاتِ بمُقابلةِ النُّسْخَةِ المخطوطة مع مُراعاةِ التدقيقِ والمُتابَعَةِ الْمُتَأَنِيَّةِ.

---

(١) الذريعة: ج١٩/٣٢.

(٢) معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام: ج٦/٣١٣.

(٣) هذا هو الصحيح. وقولُهُم: - عَنْ- ليس من اللغةِ العالية وإنْ شاع.

"ترجمة المؤلف"

نَسَبُهُ: [١]

هُوَ الإمامُ الفقيهُ، المُصْلِحُ الْمُجَدّدُ، المُجاهِدُ، آيةُ اللهِ الحُجّةُ السَيِّد مُحَمَّد عليّ الحُسيني الشهيرُ بـ (السَيِّد هبَةِ الدّينِ الشّرِسْتَانِيّ) نَجْلُ العالِمِ المُقَدَّسِ السَيِّد حُسَيْنٍ الْعابِدِ الشهير بـ (الشّهْرِسْتَانِيّ) ابن السَيِّد مُحْسِنٍ الصّرافِ ابن العلامة السّيِّد مُرْتَضى ابن السَيِّد مُحَمَّد ابن العالم العلاّمَةِ الفقيه الأمير السّيِّد عليّ الكبير الحُسَيْنيّ الحائِرِيّ المُنتَهي نَسَبُهُ الشريفُ إلى زيدٍ الشهيد ابْنِ الإمام زَيْنِ العابدينَ عليّ بنِ الحُسَيْنِ بنَ عليّ بن أبي طالِبٍ عليهم السلام، وَكانَ جدُّهُ الأعْلى العلاّمةُ السَيِّدُ عَلِيٌّ الكَبِيْرُ المذكورُ مِنْ أعْلامِ عَصْرِهِ، المُشارِ إليْهِمْ بالبَنانِ، وَمِنْ أعْيانِ الشيعةِ وَوُجُوه الطائِفَةِ في أواخر القَرْنِ الثاني عشر الهجريّ وَأوائِلِ القَرنِ الثالث عشر.

---

(١) أَخذت الترجمة من كتابي (السيِّد هِبَةُ الدِّيْنِ الحُسَيْنَي الشهرستاني حَياتُهُ و نشاطُهُ العلْميّ و الاجتماعي).

وِلادَتُهُ:

وُلِدَ السّيّدُ هِبَةُ الدّينِ ظُهْرَ يَوْمِ الثُّلاثاءِ، الرابع والعِشرينَ مِنْ رَجَبٍ سَنَةَ (١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م) في مدينة سامَرّا.

وفي مقدّمة (اسلام وهيئت ص٥٢) التي كتبها الشيخ سراج الأنصاري ما تَرْجَمَتُه: ((إنّ الميرزا السَيِّد عَلِيّاً الشّهرستاني جاءَ إلى بيتِ السيّد حُسَينِ الْعابِدِ يَوْمَ مِيلادِ السّيدِ هِبَةِ الدّينِ وَأخبَرَهُ أنّهُ سَمِعِ أمْس هاتِفاً في عالَمِ الرُّؤيا يقُولُ: سَتَلِدُ مَرْيَم وَلَداً سَمُّوهُ (مُحَمّد عليّ) وَلَقّبُوهُ (هِبَة الدّينِ))).

نَشْأَتُهُ في سامَرَّا:

قال السيّدُ العَلَويُّ في كتابه (هِبَة الدّين ص٦- ٧): (وإذا كانَ حِجرُ الأُمّ مَدْرَسَةَ الأَخلاق[١] والتّثقيفِ الذّي عَليهِ مَدارُ غَرائزِ النّشأةِ الطّبيعيّة فالسّيّد هِبَةُ الدّين نَشأَ في حِجْرِ أُمٍّ صالِحةٍ عالِمَة وَهِيَ السيّدةُ مَرْيَمُ ... الّتي كانَت تُغَذّيهِ مُنْذُ نُعُومَةِ أظْفارِه، بِغِذاءِ الدّينِ وَتُحَسّنُ في نَظَرِه، الْفَضائِلَ وَالْخِلالَ الحَسَنَةَ وَالأخلاقَ العَرَبيّةَ وَالآدابَ الصّالِحة، وَتُقوّمُ لَهْجَتَهُ، وَتُثقّفُ أفكارَه بِذِكْرِ التّواريخِ وَالقِصص الأخلاقيّةِ.

وَهكذا كان والِدُهُ الْحُسَينُ ... فإنَّهُ كانَ يَغرِسُ في مَدارِكه حُبَّ العُلُومِ والكَمالات[٢] بِذِكرِ سَجايا الصّالِحينَ وَتَواريخِ النّوابغِ، وَيَحُثُّهُ عَلى مُباراتِهِم، وَيَجْتهدُ بِكُلِّ قُواهُ في تَوسِيعِ مَعارِفِهِ، وَتَثْقِيفِ مَداركِهِ؛ مُمَهّداً لَهُ وسائلَ التّعليم وَالكِتابةِ، وَيَستَصْحِبُهُ إلى مَجالِسِ العُلَماءِ والأكابِرِ، وَكانَ كَثِيرُونَ مِنهُم يَتَوَسَّمُونَ فِيهِ آثارَ النُّبُوغِ وَيتَوَقّعُوْنَ مِنْهُ تَقدُّماً عَظيماً).

وَمَا إنْ شَبَّ عَنِ الطَّوْقِ، وَبَلَغَ سِنَّ الأخْذِ وَالتّلقّي حَتّى بادَرَ والِدُهُ العلاّمَةُ أعلى الله مَقامَه إلى تَعلِيمِهِ القِراءَةَ وَالكِتابَةَ على الطّريقَةِ الْمألُوفَةِ يَومَئِذٍ.

وَكانَ - وَهُو في تِلْكَ السِنّ المُبَكّرَةِ - يَتّقِدُ ذَكاءً وَفِطْنَة، وَيَتَمَتّعُ

---

(١) أَلَمّ في هذا المعنى بقولِ شاعر النّيل، حافِظ إبراهيم (ت: ١٣٥١هـ):

وَالأُمُّ مَدرَسَةٌ إذا أعْدَدْتَها ... أعْدَدْتَ شَعْباً طَيِّبَ الأعْراقِ

(٢) وَعلى هذا كان طيّب الله تعالى ثراه مِصداقَ قولِ الشّاعر القديم:

وَيَنشَأُ ناشِئُ الفِتْيانِ مِنّا ... عَلى ما كانَ عَوّدَه أبُوهُ

بحافِظَةٍ قَلَّ أنْ يَتَمتّعَ بها مَن كان في مِثلِ سِنِّهِ مِمّا جَعَلَهُ يَطوي مرحلة تَعلُّمِ القِراءَةِ والكِتابةِ في وَقْتٍ قصيرٍ جدّاً مِمّا لَمْ يُعهَدْ نَظِيْرُهُ مِنْ أقْرانِهِ.

وَكانَ في تِلْكَ المَرحلةِ وَهُوَ لَمّا يَطأ عَتَبةَ السّنةِ العاشرة مِنْ عُمُرِهِ المُبارِكِ يَحْفَظُ مِنْ شَواهِدِ الشّعْرِ وَروائع الأمْثالِ ما لا يَنقضي مِنهُ العَجَبُ مع حُضُورِ البَدِيهَةِ وَمُراعاةِ مُطابَقَةِ الكَلامِ لِمُقتَضى الحالِ؛ وَمِنْ آياتِ نُبُوغِهِ المُبَكّرِ في هذا الدّورِ ما حَدّثني به عَلينهِ الرّحمَةُ والرِضْوانُ أنّه كانَ في بَعِض الأحيانِ يذهَبُ بِصُحبَةِ والِدِه إلى مَجلسِ زَعيمِ الطّائِفَةِ الإمامِ المُجَدّدِ الشيرازي قدس سره ذلك المجلسِ الذي كان يعجُّ بالعُلَماءِ والفُقهاءِ وَمَنْ في مَعْناهُم.

وكَانَ عُمُرُ السَيِّدِ هِبَةِ الدّينِ - يومئذٍ - نحو ستِّ سِنينَ أو تَزيدُ قليلاً - والترديدُ منّي - وَكانَ للسّيّدِ المُجَدّدِ خَادِمٌ اسْمُهُ (بَدْرٌ).

قال السَيِّدُ: فَصاحَ بي الخادِمُ المَذْكُورُ ذاتَ يوْمٍ عَلى مرأى وَمَسْمَعٍ مِنَ السَيِّد (الحَسَنِ المُجَدّدِ): كَيْفَ تَحْضرُ في هذا المَجلِسِ الخاصّ بالعُلَماءِ والأكابِر وَأنْتَ صَبيٌ صَغِيرٌ؟! فَتَمَثَّلْتُ في الحالِ رافعاً صَوْتي بقولِ الشّاعرِ القَدِيم:

ثَلاثةٌ يُذْهِبنَ عَنْ قَلْبي الحَزَنْ الماءُ والخَضْراءُ وَالوَجهُ (الْحسَنْ)

وَلَمّا نَطَقْتُ بكَلِمةِ (الحَسَن) أشَرْتُ إلى السّيّدِ المُجَدِّدِ الّذِي تُطابقُ هذهِ الكَلِمَةُ اسْمَهُ الشّريفَ، وفيها مِنْ لُطْفِ التّوريةِ ما لا يَخفى، فَصاحَ السّيّدُ المُجَدِّدُ: بَه بَهْ بَهْ، وَهِيَ عِبارَةُ اسْتِحْسانٍ وَتَعَجُّبٍ.

(قالَ السيّدُ): وَعِنْدَها أمَرَ لي السَيِّد المُجَدِدُ بِكِسْوَةٍ وَعَيّنَ لي راتِباً في تِلْكَ السّنِّ.

أخلاقُهُ:

ما أدْرِيْ – وايمِ الله – ما أقُولُ في رَجُلٍ جَمَعَ مِنَ الفضائلِ ما تَفَرَّقَ في غَيْرِهِ وَكانَ في كُلّ خَصْلَةٍ مِنْ خِصالِهِ عَزِيْزَ المِثالِ، نادِرَ الضَّريبِ، تَتَمثَّلُ فِيْه شَمائِلُ القِدِّيْسينَ وَسَجايا البَرَرَةِ المُخْبِتِيْنَ، وَتَلُوحُ عَلى أسِرَّةِ مُحَيّاهُ سِيْماءُ الصالِحِينَ؛ تَجْلِسُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَغْمُرُكَ هَيْبَتُهُ وَتأخُذُ بِمَجامِعِ قَلْبِكَ لَهْجَتُهُ، وَيَنْقُلُكَ في حَدِيْثِهِ الشّائِقِ مِنْ رَوْضَةٍ إلى رَوْضَةٍ بأُسْلُوبٍ جَذّابٍ، وَتَرَسُّلٍ آخِذٍ مِنْ وَسائِلِ البَيانِ والتَّبْيين بأوْفى نِصاب. يُقْبِلُ عَلى جليسِهِ بِكُلِّه، وَيُولِيهِ مِنَ التَّرحِيبِ والتَّكْريمِ بما لا يُسْتَغْرَبُ مِن مِثْلِهِ؛ إذْ هُوَ وارِثُ تِلْكَ الآدابِ وَالخَلائِقِ مِنْ جَدِّهِ سَيِّدِ الخَلائِقِ المَوْصُوفِ في مُحْكَمِ الذِّكْرِ الحَكِيمِ بِقَوْلِ الحَقِّ سُبْحانَهُ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

أساتِذَتُهُ :

تتلمذ سماحته على جملة من جَهابذِة العُلماءِ وأعاظِم الفُقهاءِ في كربلاء المقدسة والنجف الأشرف أبرزهم:

السَيِّد مُحَمَّد حُسَيْن الشّهْرِسْتَانِيّ.

الشَّيْخُ عَلِيّ سِيْبَوَيْهِ الحَائِرِيّ.

الشيخ عبّاس الأخْفَشُ.

السَيَّد عَلِيّ الشّهْرِسْتَانِيّ.

الشَّيْخ مُحَمَّد باقر الحَائِرِيّ.

الشَّيْخ مُحَمَّد كاظم الخراسانيّ.

السَيِّد مُحَمَّد كاظم اليزدي.

الشَّيْخ الميرزا حُسَيْن النُّوريّ.

مُجيزُوهُ بِالاجْتِهاد:

السَيِّد إسماعيلُ ابن السَيَّد صَدْرِ الدَّينِ الصدر.

السَيَّد مُصطفى الحُسينيّ الحُجّةُ الكاشانيُّ.

السَيَّد مُحَمَّد بن مُحَمَّد باقر الحُسَيني الفيروزآبادي.

السَيَّد مُحَمَّد المُجْتَهِد الكاشانيّ.

السَيَّد مَوْلوِيٌّ الهنْدِيُّ.

السَيَّد مُحَمَّد مهدي الحكيم الحُسينيُّ الحائِريُّ.

تَلامِذَتُهُ:

الشَّيْخ مُحَمَّد رضا الشبيبيّ.

الشَّيخ جَعْفَر النّقدِيُّ.

الشَّيْخ رَشِيد التُّرابيُّ.

الشَّيْخ عَلِيٌّ الشَرْقيُّ.

السَيِّد مُحَمَّد حُسيْن، شهابُ الدّين النَجَفِيُّ المَرْعَشِيُّ.

الشَّيْخ عَبد العَزِيزِ الجواهِريّ.

السَيِّد مُحَمَّد سعيد آل كمال الدّينِ.

السَيِّد حُسَيْن نجل العلامة السَيِّد عيسى آل كمال الدّين.

الشَّيْخ جَعفرٌ السّاعِدِيُّ.

الشَّيْخ أبو عَبدِ الله الزّنْجانِيّ.

الشَّيْخ مهدي الأنصاري الشهير بـ (سراج الدين).

المهندس السَيِّد محمد عليّ الشهرستاني الحائري وغيرهم.

مشايخُهُ في الحَديْثِ:

الإسْنادُ والرِّوايَةُ مِنَ خَصائِصِ الأُمَّةِ الإسلاميَّةِ الَّتي امتازَتْ بها عَنْ سائِرِ الأُمَمِ وَقَدْ أوْلَتْها مِنَ الاهتِمامِ والعِنايةِ ما لا مَزيدَ عَلَيْهِ، ومَا انفكَّ هذا دأبَ عُلَماءِ المُسْلِمينَ وَهِجيْرَهُمْ في قَدِيْمِ الدَّهْرِ وَحَدِيْثِه، لا يَثْنُونَ عَنْهُ عَزْماً، ولا يَجِدُوْنَ عَنْهُ مَصْرِفاً.

وإنَّ سيِّدَنا آيةَ اللهِ الإمامَ الشّهْرِسْتَانِي قُدِّسَ سِرُّهُ لَمِمَّنْ أُوْتِيَ مَلَكَةَ (فِقْهِ الحَدِيْثِ) وَلَمْ يَقْتَصِرْ على روايتِهِ، ووُهِبَ بُعْدَ الغَوْرِ، وَبَراعَةَ السَّبْرِ وَحُسْنَ التَأَتِّي ولَطافَةَ التَّهدِّي ودِقَّةَ المأخَذِ وَمَهارَةَ الغَوْصِ في استِخراج جَواهِرِ أسْرارِ المأثُوراتِ المَعْصُوميَّةِ مِنْ بحارِ عُلُوْمِ الإسلامِ وَمعارِفِهِ، وَرُزِقَ مَزِيْدَ الاخْتِصاصِ باسْتِظهارِ بَدائِعِ الفَرائِدِ مِنْ مَناجِمِ كُنُوزِ سَيِّدِ المُرسَلينَ وخُلفائِهِ الأئِمَّةِ الرَّاشِدين صَلَوات اللهِ وسَلامُهُ عَلَيْهِم أجْمَعِينَ.

وَقَدِ اتَّصَلَتْ أسانِيدُهُ بـ (ثِقاتِ الرُّواة) عن طُرُقِ مَشايخه الأعلام الهُداةِ والجَهابذَةِ المَهَرَةِ، وَهُم جَمْعٌ وَقَفْنا مِنهُم عَلى أسْماءِ هؤلاءِ (الكِرامِ البَرَرَةِ):

السَيَّد إسماعيلُ الصدر.

الميرزا الشَّيْخ حُسَيْن النُّوريُّ.

الشَّيْخ مُحَمَّد كاظم الآخوند الخراساني.

السَيَّد حسن الصدر.

السَيَّد مُحَمَّد ابن السَيَّد صادق الحُسيني، آل الأمِيرِ السَيِّد عَلِيّ الكبير، الشهير بـ(آية الله الطّباطبائي) نِسْبَةً إلى أخْوالِهِ.

السَيِّد مُحَمَّد مهدي، الحكيم الحُسينيّ الحَائِرِيّ.

الشَّيْخ مُحَمَّد باقر بن مُحْسِن (الشهيد) الأصطهباناتيُّ الشِّيرازيّ.

السَيِّد عبد الصمد المُوسَويُّ الجزائري.

الشّيْخ مُحَمَّد مُحْسِن الرازيُّ، الشهير بـ (آقا بُزُرك الطِهْرانِيّ).

والرواية بَيْنَهُما (مُدَبَّجَةٌ).

السَيِّد أحْمَد بن الحُسيْنِ، الحَكِيمِ.

وأما أبرز الرُّواةِ عَنْهُ فَهُمْ:

السَيِّد مَحْمُودُ ابنُ السَيِّد عَلَيّ (الطَّبِيْب) المُرْعَشِيّ، ونجله المرجع الدينيّ السَيِّد شهابِ الدِّين، النَجَفِيّ المَرْعَشِيّ.

الشَّيْخ الميرزا مُحَمَّد عَلِيّ التبريزيُّ الخيابانيُّ.

السَيِّد مُحَمَّد مهديّ ابن السَيَّد إبراهيم شَيْخ الإسلام زاده العَلَوِيّ السَّبْزَوارِيّ.

الشَّيْخ مُحَمَّد عَلِيّ الأردوباديّ الغروي.

الشَّيْخ مُحَمَّد عَلِيّ اليعقوبيُّ.

السَيِّد مُحَمَّد رضا الخِرْسان.

السَيِّد مُحَمَّد عَلِيّ الرَّوْضاتِيّ الأصْفَهانيُّ.

الشَّيْخ مُحَمَّد الإماميُّ الخُوانساريُّ.

السَيّد مُحَمَّد حُسَيْن الجَلالِيُّ.

السَيّد مُحَمَّد طاهِر الحيْدريّ[1].

السَيّد عبّاسٌ شُبّر.

الشَّيْخ مُحَمَّد الجواد الجزائريُّ النجفي.

---

(١) العلاّمةُ الكبير، آية الله الفقيه المُحَقّق الوَرِعُ التّقي إمام (جامع المصلوب) في بَغْداد (ت: ١٤٠٠هـ) كَتَبَ عَنْهُ الفقير إلى رحمةِ ربّه الغني عبد الستار الحسني كِتابَ (النور الباهِر في أحوال سَيّدنا الطّاهِر) وَقَدْ طُبِعَ أَخِيْراً بِعِنايَةِ العلاّمَةِ الجليل السيّد محمد نجل السيد طاهر المذكور الذي هو اليوم إمام (جامع المصلوب) وأحد فضلاء الأسرة الحيدرية في بغداد، سَلّمهُ الله تعالى.

١٣. الشَّيْخ أسَد آل حَيْدر.

١٤. السَيّد مُحَمَّد حَسَن العَلوِيّ السَبْزَواريّ.

١٥. نجله السَيّد جواد هبة الدين الحسيني الشهرستاني.

١٦. السَيّد عبدُ الستّار الحَسَنيُّ وغيرهم.

مؤلَّفاتُهُ:

قد مَنحَ الله تعالى التوفيقَ لسيّدنا المُترْجَم في كُلّ ما هُوَ بسَبيلِهِ مِنْ خِدْمَةِ الدِّينِ ونَشْر مَعارفِه وإصْلاحِ ما فَسَدَ مِنْ أُمُورِ المُسلِمين وَمِنْ ذلك ما وُفّقَ إليْهِ مِنْ تَدبيْجِ رَوائعِ الأَسْفارِ المُتَّسِم أَكْثَرُها بالجِدَّةِ والابتِكار وما أمْلاهُ بَعْدَ فِقْدَانِ بَصَرِهِ على خاصَّةِ تلامِذَتِه مِنْ لُباب الأفكار وثِمارِ الفُهُومِ ومِمّا يُثيرُ العَجَبَ انّ السَيِّد عليه الرَّحمةُ والرِّضوانُ ألّفَ الكثيرَ من آثارِهِ بَعْدَ فَقْدِهِ البَصَرَ!!!

ومِمّا تميَّزَ بهِ أنَّه جَمَعَ في التأليفِ بينَ الإكثارِ والإجادَة، و وَاءَمَ في التنسيق وحُسْنِ التَرْصيفِ والدِّقّة بَيْنَ (الكَمِّ والكَيْف).

وهذا مختصر لمُؤلّفاتِهِ رحمه الله:

١. أبْجَدُ التَّواريْخ.
٢. أصْفى المَشارِبِ في حُكْمِ حَلْقِ اللّحيَةِ وَتَطْويلِ الشّارِب.
٣. الأُمَّةُ والأَئِمّة.
٤. الأوَّليَّات.
٥. ما هُوَ نَهْجُ البلاغة؟.
٦. تحريمُ نَقْلِ الجنائز المتَغَيِّرة.
٧. الجامِعَةُ الإسلاميَّةُ والعَقائِدُ القُرآنيَّة.
٨. الحريّة والجبريّة.
٩. حوادِثُ الدُّهورِ بأيّام الشُّهور.
١٠. الدّلائِلُ والمسائِلُ (عدة اجزاء).

١١. الرَّدُّ على البابيَّةِ.

١٢. سُلالةُ السّاداتِ.

١٣. صَفْوَةُ المَعارِف.

١٤. عَقْدُ الحباب في قواعِدِ الإعْراب.

١٥. قِلادَةُ النُّحُوْرِ في نظم البُحُورِ.

١٦. المُحِيْطُ وحُجَّةُ الإسلامِ.

١٧. المَعَارِفُ العالِيَة للمَدارس الرّاقيّة.

١٨. نَزاهة المصحَفِ الشّريف عَنِ النَّسْخِ والنَّقْصَ والتّحريف.

١٩. نِهايةُ الإعْجاز في المُعَمّيات والأَلغاز.

٢٠. رواية الحقِّ حَوْلَ راية الحقيقةِ.

٢١. زَبُوْر المُسلمين.

٢٢. السَّبع المَثاني، أو الإعجازُ القُرْآني.

٢٣. الشَّريعة والطبيعَةُ.

٢٤. بدائع الأفكار.

٢٥. الهيئة والإسلام.

رِحْلاتُهُ :

كانَتْ رِحْلاتُهُ إلى بلادِ الإسلامِ جُزْءاً مِنْ مَشاريعِهِ الإصْلاحيَّةِ وَعَملاً مُتمِّماً لِمواقِفِهِ الجِهاديَّةِ التي سُداها وَلُحْمتُها تَعزيزُ النَّهْضَةِ الإسلاميَّةِ وَتوحيْدُ أهْل التَّوحِيدِ والدَّعْوَةُ إلى الرُّجُوع إلى تَعاليْمِ الشَّرِيْعَةِ الغَرَّاءِ بالانْتِهالِ مِنْ أصْفَى مَنابِعها وَامْتِيارِ اللُّبابِ مِنْ أحْكامِها الإلهيْةِ الرَّشيدَةِ والثَّورةُ على الْجُمُوْدِ وَالتَّواكُلِ وإطْلاعُ (الرأي العامّ) على مَحاسِنِ أسْرارِ التَّشريعِ الإسلامِيّ وَبَيانُ مَزاياهُ وَما تَفَرَّدَ بِهِ مِنْ دَقائِقِ الحِكَم وحَقائِقِ الاعتقاداتِ وَبُلُوغِهِ الذِّرْوَةَ في كَمالِ الاتِّساقِ والمُواءَمَةِ للجِبلَّةِ الإنْسانِيَّةِ، إذْ إنَّهُ (دِيْنُ الفِطْرَةِ) وَهادِيْ البَشَرِيّةِ إلى كُلِّ ما فيه سعادَتُهُم الدُّنيويَّةُ والأُخرَويَّةُ، كما كان مِنْ وراءِ هذهِ (الرِّحلات) غايَةٌ أخرى بَعِيدةُ المَدى مَوفُوْرَةُ العَوائِدِ وَهِيَ الوُقُوْفُ عَلى أحْوالِ الشُّعُوبِ وَمَعْرِفَةُ (الأنْظِمَةِ السَّائِدَةِ) فِيْها واسْتِجلاءُ عاداتِها وتَقَاليدِها وَدِراسَةُ أحْوالِ المُسْلِمينَ مِنْ خِلالِ الجَوْسِ في رُبُوعِها مَعَ الاسْتِفادَةِ مِنْ بَعضِ ما يُمكِنُ الاسْتِفادةُ مِنهُ مِنْ وَسائِلِ التَّجْديدِ و(التَطَوُّر) وَمُشاوَرَةُ (أهْلِ العَقْدِ وَالْحَلِّ) في تَعْضِيد سُبُلِ التّعاوُنِ وَمَدِّ طُرُقِ التَّواصُلِ بيْنَها وَبَيْنَ العِراقِ الَّذي ما انفَكَّ يَنُوءُ بأعباءِ مُخَلَّفاتِ الحُرُوبِ وَبَقايا السَّيطَرَةِ الأجنَبيَّةِ وإن لبسَتْ ثَوْباً آخرَ على سَبيلِ التَّمويهِ والاستِغْفالِ.

كانَ الابتداءُ بها من النَّجَف الأشْرَفِ في شَهْرِ رَمَضانَ مِنْ سَنَةِ (١٣٣٠هـ) وآبَ مِنْها إلى النَّجَف في رَجَبٍ من سنة (١٣٣٢هـ)، وقد زارَ أكْثَرَ من ستّينَ بَلْدةً، ووُفِّقَ في أثْنائِها لِتَشْكِيلِ إحدَى عَشَرَةَ مُؤَسَّسةً على اخْتِلافِ

أَسْمائِها، سلسلة واحدةً تُؤَلِّفُها غايةٌ إصلاحيّةٌ اجتماعيّةٌ على أُسُسِ الروابطِ والعُرَى في عُمُومِ البُلْدانِ والقُرَى.

وكانت أُولى مؤسّساتِهِ (جمعيّةُ خدمة الإسلام) التي أسّسها في أوّل محطّةٍ من رِحلته في (الأعظميّة) في بغداد، في شوّال سنة ١٣٣٠هـ.

وعندَ وُصُولِهِ إلى مدينة (العِمارة) في ذي القعدة سنة ١٣٣٠هـ أَسَّسَ (الجامعة الإسْلاميّة).

وواصَلَ رِحلته إلى البحرينِ التي وَصَلَها في محرّم سنة ١٣٣١هـ وهُناك أَسَّسَ (جمعيّة الإصلاح).

وعندَما حَلَّ في بلاد عُمان، أَسَّس (جمعيّة الاتّفاق العُمانيّ).

وعندَما بَلَغَ تُخُومَ الهِنْدِ تَلَقَّتْهُ حُكُومتُها وأَعلامُها ورجالُها بحفاوةٍ بالغةٍ وإجلالٍ كبيرٍ، وكان ذلك في شهر ربيع الأوّل سنة ١٣٣١هـ وبدأ هُناك بالإرشاد الدينيّ، ومحاربة البدع والخرافات.

وأَسَّسَ في كلكتا (جمعيّة جنود الله).

وفي جُمادَى الأوْلى سنة ١٣٣١هـ أَسَّسَ في (باهه) (جمعيّة آل محمد صلى الله عليه وآله).

وفي (إلاه آباد) أَسَّسَ (جمعيّة انْتِشار الإسلام) في جُمادَى الآخِرَة، مِنَ العام نَفْسِهِ.

ثُمَّ أَسَّسَ (جَمعيَّةَ التَّقْوِيَةِ) في (جايس) عِنْدَما وَصَلَ إليها في شَعْبان سَنَة ١٣٣١هـ.

وَكَانَتْ رِحْلَتُهُ إلى الهِنْدِ أَطْوَلَ مُدَّة منها إلى سائِر البُلْدانِ، وأَكثَرَها نَشاطاً وَتأثيراً في المَجالاتِ الإصلاحيَّةِ والفِكريَّةِ والاجتماعِيَّةِ في رِحْلَةٍ

دامَتْ أكْثَر مِنْ سِتَّةِ أشْهُرٍ بَعْدَها عَزَمَ على أداءِ فَريضةِ الحَجِّ.

واتَّجَهَ إلى الدّيار الحِجازيَّة وَعَبْرَ البَحْرِ؛ فأمْضى مُدّةً في حَضْرَ مَوْت، وإماراتِ عَدَن، فاليَمَن، وأسّسَ هُناك (جَمعيَّة أهْلِ الحَقِّ) في ذي الحجَّة سَنَة ١٣٣١هـ.

ثمَّ اتَّجَهَ إلى (عَسِير) حَتّى بَلَغ (جُدَّة) وَأدّى مَناسِكَ العُمْرَةِ بِسَبَبِ عَطبٍ في الباخِرَةِ - عِنْدَ مِيناء عَسِير - حالَ دُوْنَ وُصُوْلِهم إلى الحجّ في ميقاتِه.

ثُمَّ زارَ سُوْريَّا، ولُبْنان، وإيران، وَهُو يَقُومُ في أثْناءِ زِيارَتِهِ بالوَعْظِ والإرشادِ وَنَشرِ العُلُومِ الإسلاميَّةِ والأفْكارِ الإصلاحيَّةِ.

بَعْدَها عادَ إلى البَصرَةِ ثُمَّ العِمَارةِ...

ثُمَّ استَقَرَّ في كَرْبَلاءَ في بدايةِ الحَربِ العالَميَّةِ الأُوْلى.

فاجِعَةُ بَصَرِه:

قُدِّرَ لِسَيِّدنا المُعَظَّمِ أنْ يُمْنى بفَقْدِ بَصَرِهِ وَهُو في أوْجِ نشاطِهِ، وَذِرْوَةِ هِمَّتِهِ، وَبالِغِ أشُدِّه، لِكنَّه بَعْدَ أنْ يَئِسَ مِنْ عِلاجِ الأطِبّاءِ النّطّاسِيّين في مُحاولةِ استِعادَتِه؛ أخْلَدَ إلى الرِّضا بقضاءِ الله تعالى، صابِراً مُحْتَسِباً على ما ابْتَلاهُ جَلَّتْ حِكْمَتُهُ وَعَزَّتْ مَشيئَتُهُ، وَلئِنْ فَقَدَ بَصَرَهُ؛ لنَفاذُ[1] بَصِيْرَتِهِ نِعْمَ العِوَضُ وَخَيْرُ الخَلَفِ، وإنَّ لِهذا الحَبْرِ[2] البَحْرِ أُسْوَةً بقَسِيْمِهِ في الشَّرَف الهاشِميّ، وَرَصِيفِهِ في مَعْرِفَةِ فَنِّ التّأوِيْلِ وَفِقْهِ الدِّينِ وَتَرْجَمَةِ مَعاني الذِّكْرِ الحَكيم؛ حَبْرِ الأُمَّةِ وَبَحْرِها وَتَرْجُمان القُرآنِ سَيِّدِنا: عَبْدِ اللهِ بن عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهُما، إذْ كانَ يَتَمَثَّلُ بَعْدَ فَقْدِهِ نُورَ عَيْنيهِ بقَولِ القائِلِ:

إنْ يأخُذِ اللهُ مِنْ عَيْنَيَّ نُوْرَهُما ... ففي فُؤادِيْ وَقَلْبيْ مِنهُما نُوْرُ

وَكانَ أوَّل عَوارِضِ هذهِ الفاجِعَةِ هُوَ إصابةُ عَيْنَيْهِ بمَرضِ الرَّمَدِ الصَّدِيدِي، في بدايَةِ تَرؤُسِهِ مَجْلِسَ التَمْيِيْزِ الجَعْفَرِيّ، وَلَمْ تَتَحَسَّنْ عَيْناهُ على الرَّغْمِ مِنْ اسْتِمْرارِ التَّداوِيْ، مِمّا جَعَلَ عَدَداً من الأطِبّاءِ يُرَجّحُوْنَ إجْراءَ العَمَليّة، وَتَعهّد بذلك الدكتور (طوبليان) المشهور آنذاك.

---

(١) إذا اجْتَمَعَ في جُمْلَةٍ واحِدَةٍ قَسَمٌ وَشَرْطٌ فالجَوابُ للسّابقِ مِنْهُما، والسّابقُ هُنا الْقَسَمُ المُوَطّأُ لَهُ بـ (اللام) في (لَئِنْ) فالجوابُ لَهُ وَحِينَئذٍ لا يَقْتَرِنُ الجَوابُ فِيْهِ بالفاء، فَلا يُقالُ في مِثلِ هذهِ الجُمْلَةِ وَلَئِنْ...فَنفاذُ بَصِيْرَتِهِ... الخ لكِنَّ النَّاسَ دأبُوا على إقْحامِها في جَوابِ القَسَمِ.

(٢) بكسرِ الْحاء وَفَتْحِها، وَالكَسْرُ أفْصَحُ لكِنَّ الْفَتْحَ أشْهَرُ.

وأُجْرِيَتْ على يديهِ العَمَلِيَّةُ الجراحيّة، ضَحْوةَ الأربعاءِ، التاسع مِنْ ذي القعدة ١٣٤٥هـ - ١١/ حزيران/ ١٩٢٧م في المستشفى المَجيديّ (ويُعْرَفُ عندَ العامّة بـ ((المَجِيديّة)) وهو ((مدينة الطِبّ)) الحاليّة)، ولكنّ العمليّة لَمْ تَنْجَحْ.

وتُعْجِبُنا كَلِمَةُ الدكتور طُوبالِيان: (إنّ وَراءَ هذهِ العَيْنِ عَقْلٌ كَبيرٌ[١] فَعَلى العُقُولِ الكبيرةِ أنْ يَهْتَمُّوا بها لِمنْفَعَةِ البَشَرِ) إلى آخر كلامه[٢].

أقُولُ: يَبْدُوْ أنَّ الدكتور (طوباليان) كانَ مِنْ شَياطِينِ الإنْسِ وَدُهاةِ المَكَرَةِ، وإنَّما قالَ ما سَمِعْتَ، تَعْتِيْماً على جَريْمَتِهِ النَّكراءِ وَفَعْلَتِهِ الشَّنْعاءِ الَّتي باءَ بإثْمِها وَحَملَ وِزْرَها، بتَواطُئِهِ مَعَ الجاسُوسَةِ البَرِيْطانيَّةِ - سَيِّئَةِ الصِيْتِ - (ألِمسْ بيل) على عَدَمِ إنْجاحِ العَمَلِيَّةِ لتَيْنِكَ العَيْنَيْنِ اللّتينِ كانتا تَقُضَّانِ مَضاجِعَ الإنجِليزِ وعُمَلائِهِم، وَتَرْصُدانِ تَحَرُّكاتِهِم الشّائِنَةَ لإحْكامِ السَّيْطَرَةِ عَلى البلادِ.

وَقَدْ حَدَّثَني السَيِّدُ الشَهْرِسْتَانِيُّ قُدِّسَ سِرُّهُ: أنَّ عَدَمَ نجاح (العَمَلِيَّةِ الجِراحيَّةِ) لِعَيْنَيْهِ كانَ بِسَبَبِ إيْعازِ الجاسُوسَةِ المذكورةِ، بأمْرٍ من أسيادِها إلى (عَمِيلِهِم الدكتور طُوباليان) بأنْ يُجرِيَ العَمَلِيَّةَ (ناقِصَةً) لِيتَمَّ لَهُمْ ما يُرِيْدُوْنَ، لا أقَرَّ اللهُ أعْيُنَهم.

---

(١) كذا جاء في الأصْلِ وَنَقَلَهُ على عِلاّتِهِ كُلُّ مَنْ وَقَفْنا على نَقْلِهِ إيّاهُ والصَوابُ: عَقْلاً كبيراً؛ لِكَونِهِ اسْمَ (إنَّ) مُؤَخَّراً وصِفَتَهُ.

(٢) السيد هبة الدين، آثاره العلمية ومواقفه السياسية، الدكتور محمد باقر البهادلي: ٢١١.

ذُرِّيّتُهُ وعَقِبُهُ المُبارَكُ:

جاءَ في الأثَرِ عَنْ سَيِّدِ البَشَرِ صلى الله عليه وآله أنَّهُ قالَ: (إذا ماتَ ابنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلاَّ مِنْ ثَلاثٍ: صَدَقَةٍ جارِيَةٍ أوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أوْ وَلَدٍ صالِحٍ يَدْعُوْ لَهُ).

وَقَدْ جَمَعَ اللهُ تعالى هذهِ الأسْبابَ المُفْضِيَةَ إلى اتِّصالِ العَمَلِ - الصَّالِحِ - لسيِّدِنا الإمامِ السيِّدِ الشَّهْرِسْتَانِيّ، خَلَّدَ اللهُ بالباقِيات الصّالِحاتِ ذِكْرَهُ، وَضاعَفَ في مِيْزانِ الأعْمالِ أجْرَهُ.

فَقَدْ حَبا اللهُ السيّد ذُرِّيَّةً صالِحَةً مِنَ البنينَ والبَناتِ لا يَزالُ بِهِم عَمودُ الشَّرَفِ رَفِيْعَ الأطْنابِ وَما بَرِحَ سُرادِقُ المَجْدِ بِصيانَتِهِمْ إيّاهُ وارِفَ الظِلال مُخْضَلَّ الجَناب.

وقَدْ أعْقَبَ مِنَ البَنِين ثَلاثَةً وَمِنَ البَناتِ خَمْساً وَكُلُّهُمْ مِنْ عَقِيلَتِهِ العَلَوِيَّةِ الطّاهِرةِ كَرِيْمةِ العَلاَّمةِ الفَقِيْهِ السيّد كَلب باقر ابن السَيِّد كَلْب حُسَيْن النَّقَوِيّ الهِنْدِيِّ[1].

---

(١) هُوَ السيّد العالِمُ الكاملُ الأدِيبُ المُتَبَحِّرُ السيّد كَلْبُ باقِرِ ابنِ السَيِّد كَلْب حُسَيْن ابن السَيِّد مُحَمَّد ابنِ المَوْلَوِيّ السَيِّدِ عَلِيّ السّجادِ النَّقَوِيّ الهِنْدِيّ الجايسيّ النَّصير آبادِيُّ مَوْلِداً والحائريُّ مَسْكَناً وَمَدْفَناً وُلِدَ في نَصِيرِ آباد سَنَة (١٢٦٥هـ) وأخَذَ فِيها عَن والِدِهِ السَيِّد كَلْبِ حُسَيْنٍ ثُمَّ هاجَرَ إلى لكنهو وَحَضَرَ عَلى السيّدِ عَلِيّ مُحَمَّد اللكنَهَوي ثُمَّ هاجَرَ إلى كَرْبلاءَ في سَنَةِ ١٢٩٧هـ، وَحَضَرَ على أعْلامِها، مِنْهُم: الفاضِلُ الأرْدَكانِيُ، والشَّيْخُ زَيْنُ العابِدينَ المازِنْدَرانيُّ، والسَّيّدُ عَلِيُّ اليَزدِيُّ، والسيّد حُسَيْن البَهْبَهانيُّ، والسَّيِّد مُحَمَّد حُسين الشَّهرِستانيُّ، حتى حازَ عَلى مكانةٍ عالِيَةٍ في الأوساطِ العِلْميَّةِ والأدَبيَّةِ، وكانَ يُدرِّسُ في مَدرَسَةِ حَسَن خان، ويستفيد العُلَماءُ مِنْ مَنْهَلِ عِلْمِهِ الشَّريفِ، وَيُقيمُ الجَماعة في الصَّحْنِ الحُسَينيِّ الشَّريفِ، ويَأتَمُّ بِهِ جَماعَةٌ مِنَ الصُّلحاء والأبرار، حتّى تُوفِّيَ في

أمَّا الأوْلادُ:

١. فأكْبَرُهُمُ السيّدُ جوادُ ولَهُ وَلَدانِ فاضِلانِ نَجِيْبانِ هُما: السّيّدُ مُحَمَّد إياد، والسّيِّد مُصطفى.

٢. المهَندِسُ السَيِّد عَبّاسٌ والِدُ المُهندسِ السَيِّد رافِدِ.

٣. السَّيّدُ زَيْدٌ والدُ المهندس السَيّد علي غالب.

☞ ١١/ رمضان/١٣٢٩هـ في كَرْبَلاءَ، وَدُفِنَ بها.
وَقَدْ وُصِفَ بأنَّهُ كان (فَقِيْهاً مُحَدِّثاً مُؤرِّخاً مُفَسِّراً مُتكلِّماً) وَمِنْ آثارِهِ (دلائل الخيرات) أُرجوزة في عِلمِ الكَلام طُبِعَت في سنة ١٣١٨هـ وعَليها تقاريظُ لجماعةٍ من الأعلام، وترجمة (نجاة العباد) بالفارسيّة، و(طريقة النجاة) منَظُومَةٌ في النَبُوّاتِ و(المَوائِد) مَنْظُومَةٌ في الأطعمةِ والأشرِبَةِ، و(تشطير الدُّرَةِ النجفيّة) لبحر العلوم في الفقه، ومَنْظُومةٌ في الوُجُودِ والماهِيَّةِ، وَرِسالةٌ في المُتعةِ، و(الإبريق في غَسْلِ الدّم بالرّيق)، و(كَشْفُ الحال) فارسي، و(القولُ الأسدّ في ترجمة - يا عَلي مَدد) بالفارسية، و(تَنْبيهِ الغافِلينَ) بالأُوردويَّةِ، وَدِيوانُ شِعْرٍ بِلُغاتٍ مُختَلِفةٍ، وحواشٍ على الكُتُبِ الفقهية والأُصوليَّة، تَرجَمه صهرُهُ الإمامُ السَيِّد هِبَة الدِّين الشَهْرِسْتَانِيّ في مجلّةِ (العِلْمِ) المجلّد الثاني ص٨١ وتَرْجَمَهُ السَيِّد الأمينُ في (الأعيان) والشَّيْخُ الطِهْرانِيُّ في (نُقباء البَشَرِ) والسيّدُ عبد الحيّ الهنديّ في (نُزْهَةِ الخَواطر) لكنّهُ ذكرَ أنَّه تُوُفِّيَ في سنة ١٣٣١هـ.

وَفاتُهُ:

بَعْدَ هذا العُمُرِ الحافِلِ بجلائِلِ الأعْمالِ وَرَوائِعِ الآثارِ لَبَّى هذا العَلَمُ الفَذُّ والفَقِيْهُ المُصْلِحُ نِداءَ رَبِّه حَيْثُ وافاهُ أجَلُهُ المَحْتُومُ فَجْرَ يَومِ الإثْنَيْنِ ٢٥ شوّال مِنْ سنة ١٣٨٦هـ الموافق لليوم السادس مِنْ شباط عام ١٩٦٧م عن عُمُرٍ ناهَزَ الخامِسَةَ والثَمانِيْنَ سَنَةً.

وَشَيَّعَتْ بَغْدادُ عالِمَها الأكبَرَ تَشْيِيْعاً مَهِيْباً، مِنَ المَسْجِدِ المَعرُوفِ بـ (مَسْجِد بَراثا)[1] إلى الكاظِمِيَّةِ.

---

(١) بَراثا، بفتح الباء - لا بضَمّها كما شاع خَطأً - والّذي أفادَهُ التحقيقُ أنَّ هذا المَسْجِدَ هُوَ (مَشْهَدُ المِنْطقَة) الَّذي اشْتَرى الإمامُ أميرُ المؤمنين عَلِيّ عليه السلام أرْضَهُ بـ (مِنْطَقَتِهِ) وَبنى فيه مَسْجِداً وصَلَّى فِيْهِ، وَكانَ مَوْضِعُهُ يُعْرَفُ بـ (العتيقة) و (سُوْنايا)، وَمَوقِعُهُ بَيْنَ (بابَ الشَّعِيْر) و (طاق الحرّاني) وَبِجِوارِهِ كانَتْ تَقَعُ مَحلَّة (باب البَصْرَةِ) التي كانَ أغْلَبُ أهْلِها مِنِ الحنابلَة، وإلى جِوارِهِ مِنْ جهة دجْلَةَ كان يَقَعُ (المارستانُ العَضُديّ) الذي موْضِعُهُ اليَوْمَ مَحلَّهُ (العُطَيْفِيَّة).

و (مَشْهَدُ المِنْطَقَة) هذا ذكَرَهُ مُؤرِّخُ بَغْداد وَحافِظُها في عَصْرِهِ عَلِيُّ بنُ أنْجَبَ المعروفُ بابنِ السّاعي (ت: ٦٧٤هـ) في كتابِهِ (المقابر المَشْهُورَةُ والمشاهِدُ المزُوْرَة) أي المقصودَةِ بالزيارة. وهذا الكِتابُ حَقّقَهُ العالِمُ الفاضِلُ الدكتور أحْمَد شوقي بنبين المغْرِبيُّ وهُو بِصَدَدِ طَبْعِهِ وأرْسَلَ إلَيَّ مُصَوَّرَتَهُ صَديقُنا العَلاّمةُ المحقّقُ الدكتور الشَّيْخ عبد الحكيم مُحَمَّد الأنيس سَلَّمَهُ الله تعالى وَقَدْ جاءَ فيه: (مشهد المِنْطقة مَوْضعُ قَدِيمُ وَهُو ما بَيْنَ مَحلَّتيْ باب البَصْرة. والكَرْخ كان قَبْلَ بناء بَغْدادَ وَقَدْ رَوَتِ الشِّيعةُ أنَّ عَلِيّاً عليه السلام اشْتَرى موْضِعَهُ بمنطقتِهِ وَجَعَلَهُ مَسْجداً وَصَلّى فيه ويقصدهُ الشيعةُ يَومَ الغديرِ ويكثر الناسُ حَوْلَهُ للزِّيارَةِ...).

قُلْتُ وَمِمن سَمّاه بـ (المِنْطَقَة) ابن عَبْدِ الْحَقِّ - مِنْ أعلامِ القرن الثامن الهجري - في كتابه (مَراصِد الاطّلاع) أمّا في مادّة (العتيقة) أو في مادّة (سُوْنايا).

وكانَ أهلُ بَغْداد يعرفونه إلى عصرنا الأخير بـ (المنطقة) لكنهم يَلفظُونَهُ (المنطكة)

تَتَقدَّمُهُ مَواكِبُ العَزاءِ الشَعْبِيَّةُ بأعْلامِها، وَمُمَثِّلُ رَئيسِ الجُمْهُوريَّةِ نائِباً عَنْهُ، وكِبار عُلَماءِ الدِّينِ الأعلام والسُّفَراءُ والوُزَراءُ ووُجوهُ البَلَدِ وَعامَّةُ الشَّعْبِ، إلى مَثْواهُ الأخير.

وَصَلّى عليه سماحةُ الاية الحجّة السَيِّد مُحَمَّد مهدي الموسوي الكاظميّ (ت: ١٣٩١هـ).

ودُفِنَ وَسط مكتبته (مكتبة الجوادَين العامّة)[1] في صحن الرَّوضَةِ الكاظِميَّةِ المُطَهَّرَةِ.

وأُقِيْمَتْ لَهُ مجالِسُ العَزاءِ المُصطَلَحُ عَلَيْها بـ (مجالسِ الفاتِحَة) في بَغدادَ، والنَّجَفِ، وكَربلاءَ.

☜ بالكاف الفارسية.

أمَّا جامعُ بَراثا: فكان موضعُهُ في قِبْلة (الكَرْخ) أي محلة (الجعيفر) الحالية، وقد زالَ أثرُهُ منذُ القرن الثامنِ الهجْرِيِّ، وَهُو مَوْضِعُ مُقَدَّسٌ أيضاً، والمقام لا يَسَعُ البَسْط.

(١) هي إحدى المؤسسات العلمية الثقافية التي أسسها السيد الشهرستاني قدس سره، ووضع حجر أساسها بنقل مكتبته الخاصة إلى مبناها الجديد في الصحن الكاظمي المقدس، وتضم هذه المكتبة خيار الكتب ونفائس الاثار والذخائر من المطبوعات والمخطوطات، أفتتحها المؤسس بتاريخ ١٣/ذو الحجة/١٣٦٠هـ وعهد بإدارتها إلى نجله المرحوم السيد جواد وبدوره عهد إلى نجله الأكبر السيد محمد إياد بتوجيه ما يلزم لتحسين وضع المكتبة وعهد إلى نجله الأصغر السيد مصطفى ان يكون متولياً وعهد إلى الشيخ عماد الكاظمي أن يكون أميناً للمكتبة، من أهم أهداف هذه المؤسسة الدعوة إلى إصلاح الحياة الدينية والاجتماعية ومحاربة الفساد في المجتمع والتقريب بين المذاهب الإسلامية وتأسيس جمعية الصندوق الخيري الإسلامي، وإن للمكتبة في الوقت الحاضر مشاريع ثقافية عدة منها: تأسيس مركز إحياء تراث السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني قدس سره وإقامة الندوات الثقافية الشهرية وإصدار عدة إصدارات ثقافية، كما ان إدارَةَ المكتبة مستمرة بعقد المجلس الثقافي الاسبوعي أماسي كل خميس. (مكتبة الجوادين العامة نشأتها وآثارها).

[١] ما هو
[[illegible] والنهج]

ما هو نهج البلاغة

نهج البلاغة كتاب عربي شهر في مملكة الأدب الذي اشتهار الشمس في الظهيرة : وهو صدف لئالئ من الحكم النفيسه ضم بين دفتيه ٢٤٧ خطبة وكلاما و ٧٨ كتابا ورسالة و ٤٩٨ كلمة من يواقيت الحكمة وجوامع الكلم لامام الكل في الكل اميرالمؤمنين علي عليه السلام وذلك المختار من لفظه الحر ومن كلمات الغر وما جادت به يراعته الدفاقه من لوالؤ رطب ودر نضيد كما شهد به الصحافي الشهير - امين نخله - من افاضل المسيحيين مخاطبا من رجاه انتخاب (المئة) من كلمات الامام عليه السلام اذ قال: ... (سلتني ان انتقي مئة كلمة من كلمات ابلغ العرب - ابي الحسن - فخرجها في كتاب وليس بين يدي احد من كتب الادب التي يرجع اليها في مثل هذا الغرض الا طائفة قليلة منها انجيل البلاغة - النهج - فرحت اسرح اصبعي فيه : ووالله لا اعرف كيف اصطفي لك المئة من مئات بل الكلمة من كلمات الا اذا سلختُ اليواقوتة من اختها اليواقوتة ولقد فعلت ويدي تنقلب على اليواقيت وعيني تغوص في اللآلئ فما

حسبي

(٥٩)

استغراب بعضهم فى كلام الامام استثناء الجمل متفرعة بعضها من بعض كقوله ع (فمن وصف الله سبحانه وتعالى فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه) الخ بحسبان ترتيب الكلام على شاكلة القياس المؤلف من صغراه وكبراه غير مألوف من العرب فى ضن ان هذا الحسبان قدح فى الأدب العربى من حيث لا يقصد ومعناه ان نظم القياس المعقول قصر عن الذوق العربى وهذا شئ لا نقبله والعرب هم الأقربون الى القياس المعقول بفطرتهم وكم له نظير فى الكتاب والسنة قال تعالى (فلو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا) وروى البخارى فى صحيحه عنه ص (فاطمة بضعة منى من اغضبها فقد اغضبنى ومن اغضبنى فقد اغضب الله) فاذا ورد فى افصح الكلام نظم القياس وتفريع الجمل فهل يستغرب من حفظة القرآن ان يتوسعوا فى نظم الأدلة القرآنية والاستثنائية فى اساليب حديثهم ؟ ...

ولقد قطعنا جهيزة كل خطيب بأن الاسانيد المشتهرة اذا حوت خطبة للامام بأسانيد معتبرة فغير جدير الاصغاء الى امثال هذه الشبهات الضعيفة ومضى دفع شبهات اخرى فى ضدل الجاشنا الماضية ...

٥٩

صورة من المخطوط ، صفحة ٥٩

مقدمة المؤلف:

نهج البلاغة كتاب عربي اشتهر في مملكة الأدب الأممي اشتهار الشمس في الظهيرة؛ وهو صدف لآلٍ[١] من الحِكَم النفيسة ضم بين دفتيه ٢٤٢ خطبة ورسالة و٤٩٨ كلمة من يواقيت الحكمة وجوامع الكلم لإمام الكل في الكل[٢] أمير المؤمنين عليه السلام وذلك المختار من لفظه الحرّ وكلماته الغرّ وما جادت به يراعته الدفاقة من لؤلؤ رطب ودرّ نضيد كما شهد به الصحافي الشهير أمين نخلة[٣] من أفاضل المسيحيين مخاطباً من رجاه انتخاب (المائة) من كلمات الإمام عليه السلام إذ قال:

(سألتني أن أنتقي مائة كلمة من كلمات أبلغ العرب - أبي الحسن- تخرجها في كتاب؛ وليس بين يدي الآن من كتب الأدب التي يرجع إليها في مثل هذا الغرض إلا طائفة قليلة منها إنجيل البلاغة (النهج) فرحت أسرح أصبعي فيه و والله لا أعرف كيف اصطفي لك المائة من مئات بل الكلمة من كلمات إلا إذا سلخت الياقوتة عن أختها الياقوتة،

---

(١) لآلٍ أصلُها: لآلئُ ثم خُفِفَتَ الهمزة، فصارت (لآلِي) ثُمّ بعد حذف الهمزة عُوْمِلَتْ مُعاملة الاسْمِ المنقوص بحذف الياء في حالة الجرّ كما تحذف في حالة الرفع.

(٢) فيه تلميحٌ إلى قول الخليل بْنِ أحمد الفراهيديّ العالم اللغَويّ العَرُوضي المشهور عِنْدَما سُئِلَ من مقام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقالَ: استغناؤُهُ عن الكُلّ وَاحتِياجُ الكُلّ إليه دليلٌ على أنَّهُ إمامُ الكُلّ.

(٣) أمين نخلة، شاعر، أديب، مؤرخ، سياسي وصحفي، ولد سنة ١٩٠١م له كتاب المائة كلمة وكتاب الملوك والديوان الجديد وغيرها، توفي سنة ١٩٧٦م. وجه لبنان الأبيض: ٤٧٠.

ولقد فعلت ويدي تتقلب على اليواقيت، وعيني تغوص في اللمعان، فما حسبتني أخرج من معدن البلاغة بكلمة لفرط ما تحيرت في التخير، فخذ هذه (المائة) وتذكر أنها لَمحَات من نُوْرٍ[١] وزهراتٌ مِنْ نَوْرٍ[٢]، ففي نهج البلاغة من نعم الله على العربية وأهلها أكثر بكثير من مائة كلمة) الخ.

يصف هذا الكاتب وغيره كَلِمَ الإمام عليه السلام بالدر والياقوت والجوهر وَأَنَّى لهذه الأحجار الغالية مزايا الحكمة العالية، ومن أين لها أن تهدي الحيارى في سبل الحياة ومسالكها الشائكة ومن أين لها الوساطة بين الجهل والعلم وربط الإنسان بعالم اللاهوت أو أن تكشف للبصائر أسرار الملكوت عدا ما لهذه الكلم من إطراب القلوب فإنَّ لسامعي هذه الخطب والكلم اهتزازَ وَجْدٍ وَتَمايُلَ طَرَبٍ محسوسَين، وذانك برهانان لتفوّق الغناء الروحي على نغمات قيثارة مادية، بلى إنَّ النغمات الموسيقية وأغانيها تتلاشى وتبيد بمرور الزمن ورنَّة النغم من كلم الإمام خالدة الأثر عميقة التأثير. ومن شاء أن يعرف أن الحروف كيف تطرب، وأن الكلمة كيف تجذب، وأن الكلام كيف يكهرب، فليقرأ نهج البلاغة وهذه الجمل أمثولة منه إذ يقول في وصف الجنة بعد وصف الطاووس وعجيب خلقته:

((فلو رميت ببصر قلبك نحو ما يوصف لك منها لغرفت نفسك من بدائع ما أخرج إلى الدنيا من شهواتها ولذاتها وزخارف مناظرها ولذهلت بالفكر في اصطفاق أشجار غيبت عروقها في كثبان المسك على سواحل أنهارها وفي تعليق كبائس اللؤلؤ الرطب في عساليجها وأفنانها وطلوع

---

(١) النُّوْرُ بضَمِ النُّوْنِ: الضّياءُ.

(٢) النَّوْرُ بفَتْحِ النُّوْنِ: الزَّهْرُ الأبيضُ، وَقيلَ: الزَّهْرُ مُطْلَقاً.

تلك الثمار مختلفة في غلف أكمامها تجنى من غير تكلف فتأتي على مُنْية مجتنيها ويطاف على نزالها في أفنية من قصورها بالاعسال المصفقة والخمور المروقة)) الخ.

ولقد حاورني ببغداد سنة ١٣٢٨هـ رئيس كتاب القنصلية البريطانية (نرسيسان) من فضلاء الأرمن زاعماً تفوّق نهج البلاغة على كل كلام عربي لكثرة ما فيه من السهل الممتنع الذي لا يوجد في سواه وانقياد الأسجاع الصعاب فيه بلا تكلف واستشهد بقوله ؤ:

((أم هذا الذي خلق في ظلمات الأرحام وسجف الأستار نطفة دهاقاً وعلقة محاقاً فجنيناً وراضعاً ووليداً ويافعاً ثم منحه بصراً لاحظاً ولساناً لافظاً وقلباً حافظاً)) الخ.

معجباً بحسن التسجيع وكيف يجري الروي كالماء السلسال على لسان الإمام عليه السلام (ثم قال) ولو كان يرقى هذا الخطيب العظيم منبر الكوفة في عصرنا هذا لرأيتم مسجدها على سعته يتموج بقبعات الافرنج للاستقاء من بحر علمه الزاخر[١].

ولقد أحسن الوصف أستاذ الفن (حسن نائل المرصفي)[٢] مدرس

---

(١) كان السيد يردّد كلام هذا النصراني في التنويه بـ (نهج البلاغة) في مجلسه العامر يومئذ وكنتُ ممن سمعه مِنْهُ.

(٢) محمد بن حسن نائل المرصفي: صحفي، من أدباء مصر. نسبته إلى مرصفا (من قراها الكبيرة) نشأ في القاهرة، وقرأ مدة في الأزهر ودار العلوم. وعين مدرسا للعربية في مدارس (الفرير) ثم أصدر مجلة (الجديد) ومجلة (شهرزاد) إلى يوم وفاته، له كتب مدرسية وضعها أيام اشتغاله بالتعليم. منها (الابداع - ط) في الاملاء و (ادب اللغة العربية - ط) جزآن. وله تعليقات على شرح نهج البلاغة للشيخ محمد عبده، في طبعتي دار الكتب

البيان بكلية الفرير الكبرى بمصر في مقدمة الشرح على نهج البلاغة فجمع بإيجاز أطراف البيان حول عبقرية الإمام وذكر مزاياه العالية وشرح ماهية كلامه في نهج البلاغة ملخصاً فيما يأتي قال:

((بهذه الخصال الثلاث - يعني جمال الحضارة الجديدة وجمال البداوة القديمة وبشاشة القرآن الكريم - امتاز الخلفاء الراشدون، ولقد كان المجلي في هذه الحلبة علي صلوات الله عليه؛ وما أحسبني أحتاج في إثبات هذا إلى دليل أكثر من نهج البلاغة؛ ذلك الكتاب الذي أقامه الله حجة واضحة على أن علياً رضي الله عنه قد كان أحسن مثال حي لنور القرآن وحكمته وعلمه وهدايته وإعجازه وفصاحته. اجتمع لعلي عليه السلام في هذا الكتاب ما لم يجتمع لكبار الحكماء وافذاذ الفلاسفة ونوابغ الربانيين من آيات الحكمة السامية وقواعد السياسة المستقيمة ومن كل موعظة باهرة وحجة بالغة تشهد له بالفعل وحسن الأثر.

خاض عليٌ في هذا الكتاب لجة العلم والسياسة والدين فكان في كل هذه المسائل نابغة مبرزاً ولئن سألت عن مكان كتابه من الأدب بعد أن عرفت مكانه من العالم فليس في وسع الكاتب المسترسل والخطيب المصقع والشاعر المفلق أن يبلغ الغاية في وصفه والنهاية من تقريظه وحسبنا أن نقول: أنه الملتقى الفذ الذي التقى فيه جمال الحضارة وجزالة البداوة والمنزل الفرد الذي اختارته الحقيقة لنفسها منزلاً تطمئن فيه وتأوي إليه بعد أن زلت بها المنازل في كل لغة)) الخ.

وكم مثل هذا في الواصفين لنهج البلاغة من حكموا بتفوقه على

و الميمنية، توفي بالقاهرة سنة ١٣٥٣هـ. الاعلام: ج٦/٩٥.

كتب الإنشاء ومنشآت البلغاء، واعترفوا ببلوغه حدّ الإعجاز وأنه فوق كلام المخلوقين ودون كلام الخالق المتعال وأعجبوا به أقصى الإعجاب وشهدت ألسنتهم بدهشة عقولهم من عظمة أضاء سنا برقها من ثنايا الخطب ومزايا الجمل. وليس إعجاب الأدباء بانسجام لفظه وحده ولا دهشة العلماء من تفوق معانيه البليغة حدّ الإعجاز فقط وإنما الإعجاب كله والدهشة كلها في تنوع المناحي في هذه الخطب والكلم واختلاف المرامي والأغراض فيها، فمن وعظ ونصح وزهد وزجر إلى تنبيه حربي واستنهاض للجهاد إلى تعليم فني ودروس ضافية في هيئة الأفلاك وأبواب النجوم وأسرار من طبائع كائنات الأرض وكامنات السماء إلى فلسفة الكون وخالقه وتفنن في المعارف الإلهية وترسل في التوحيد وصفة المبدأ والمعاد إلى توسع في أصول الإدارة وسياسة المدن والأمم إلى تثقيف النفوس بالفضائل وقواعد الاجتماع وآداب المعاشرة ومكارم الأخلاق إلى وصف شعري لظواهر الحياة وغير ذلك من شتى المناحي المتجلية في نهج البلاغة بأرقى المظاهر!

والإمام نراه الإمام في كل ضرب من ضروب الاتجاه؛ وعبقرية الإمام ظاهرة التفوق على الجميع، بينما نرى أفذاذ الرجل يجدون في أَوْجُهِ الكمال فلا يبلغونه إلا من الوجه الواحد ...

وقد وصف العلامة مفتي الديار المصرية ومصلحها الشيخ محمد عبده[1] في مقدمة شرحه إعجابه باختلاف المناحي العالية لنهج البلاغة

---

(١) الشيخ محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني، ولد في شنرا من قرى الغربية بمصر سنة ١٢٦٦هـ، مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في

بعد تدبر وتصفح للكتاب؛ فقال:

(يخيل لي أن حروباً شَبَّتْ وغارات شُنَّتْ وأن للبلاغة دولة وللفصاحة صولة وأن للأوهام عرامة وللريب دعارة وأن جحافل الخطابة وكتائب الذرابة في عقود النظام وصفوف الانتظام تنافج بالصفيح الابلج والقويم الأملج وتمتلج المهج برواضع الحجج فتفل دعارة الوساوس وتصيب مقاتل الخوانس فما أنا إلا والحق منتصر والباطل منكسر ومرج الشك في خمود وهرج الريب في ركود، وأن مدبر تلك الدولة وباسل تلك الصولة هو حامل لوائها الغالب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: بل كنت كلما انتقلت من موضع إلى موضع أحس بتغير المشاهد وتحول المعاهد، فتارة كنت أجدني في عالم يعمره من المعاني أرواح عالية في حلل من العبارات الزاهية تطوف على النفوس الزاكية وتدنو من القلوب الضافية، توحي إليها رشادها وتقوم منها مرادها وتنفر بها عن مداحض المزال إلى جواد الفضل والكمال، وطوراً كانت تكشف إلي الجمل عن وجوه باسرة وأنياب كاشرة وأرواح في أشباح النمور ومخالب النسور قد تحفزت للوثاب ثم انقضت للاختلاب فخبلت القلوب عن هواها وأخذت الخواطر دون مرماها واغتالت فاسد الأهواء وباطل الآراء.

وأحياناً كنت أشهد أن عقلاً نورانياً لا يشبه خلقاً جسدانياً فصل عن الموكب الإلهي واتصل بالروح الإنساني فخلعهُ عن غاشيات الطبيعة وسما به إلى الملكوت الأعلى ونما به إلى مشهد النور الأجلى وسكن به إلى

☜ الإسلام، له كتاب الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية وكتاب شرح نهج البلاغة وكتاب الإسلام والرد على منتقديه وغيرها، توفي بمصر سنة ١٣٢٣هـ. الأعلام: ج٦/٢٥٢.

عمار جانب التقديس بعد استخلاصه من شوائب التلبيس، وآنات كأني أسمع خطيب الحكمة ينادي بأعلياء الكلمة وأولياء أمر الأمة يعرّفهم مواقع الصواب ويبصّرهم مواضع الارتياب ويحذرهم مزالق الاضطراب ويرشدهم إلى دقائق السياسة ويهديهم طرق الكياسة ويرتفع بهم إلى منصات الرئاسة ويصعدهم شرف التدبير ويشرف بهم على حسن المصير، ذلك الكتاب الجليل هو جملة ما أختاره السيد الشريف الرضي رحمه الله من كلام سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجه؛ جمع مُتَفَرِّقَهُ وسماه بهذا الاسم - نهج البلاغة - ولا أعلم اسماً أليق بالدلالة على معناه منه. وليس في وسعي أن أصف هذا الكتاب بأزيد مما دلّ عليه اسمه ولا أن آتي بشيء في بيان مرتبته فوق ما آتي به صاحب الاختيار كما ستراه في مقدمة الكتاب؛ ولولا أن غرائز الجبلة وقواضي الذمة تفرض علينا عرفان الجميل لصاحبه وشكر المحسن على إحسانه لما احتجنا إلى التنبيه على ما أودع نهج البلاغة من فنون الفصاحة وما خص به من وجوه البلاغة، خصوصاً وهو لم يترك غرضاً من أغراض الكلام إلا أصابه ولم يدع للفكر ممراً إلا جابه[1]).

أقول: فكم يعود الأسف بليغاً إذا نبذنا مثل هذا الكتاب وَراءَنا ظِهْرِياً وحرمنا النَّشْأ من فنون بيانه وتركناه صفر الكف من شذور عِقْيانِه، عكس ما لو تثقف بدراسته دراسة تفقه واستحضار وَتَدَبُّرٍ واستظهار فندخر بهذا

---

(١) جابَهُ جرى فيه وقطعه. وممّن وَصَفَ نهج البلاغة من غير الشيعة أيضاً العلاّمة السيد محمود شكري الآلوسي البغدادي (ت: ١٣٤٢هـ) في كتابه (بلوغ الأرب)(٣/ ١٨٠) إذْ قال: ((هذا كتاب نهج البلاغة قد استودع من خطب الإمام علي بن أبي طالب سلام الله عليه ما هو قبس من نور الكلام الإلهي، وشمس تضيء بفصاحة المنطق النبوي)).

ومثله لأفلاذ أكبادنا كنزاً من الحكمة أو جنَّة باقية وجُنَّةً واقية تقيهم في مزالق الإنشاء وتملكهم مقاليد البلاغة في البيان. والبيان من أهم عوامل الحياة، ولِمَ لا نصغي لِنِداءِ مرشدنا الروحي الذي يخاطبنا من صميم ضمير الحر بداعية الهداية؛ وما هو - لو أنصفناه - إلا أستاذ الكل في الكل يلقن العالم نتائج المعارف العالية ويلقي دروسه على صفوف من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب بلهجة من لغة الضاد رقت وراقت فلا يوجد أجمل منها حسناً وبهاء.

أما بعد: فهذه رسالة مختصرة كتبتها في جواب أولئك المُهَرِّجين الذين لا يهمهم إلا تشويه الحقائق وصرفها عن وجوهها الواقعة - ولو كان ذلك غير ممكن - يحلو لهؤلاء أن يزيفوا كل كلام يدعو إلى خير البشرية والتقدم الإنساني ولكن هيهات أن يتوصلوا إلى ما يرومون أو يجدوا ما يحبون.

إن هذا المجهود المتواضع ليس إلا رداً على تلك الشكوك والتقولات التي حامت حول كتاب نهج البلاغة ولا أعلم مدى توفيقي فيما أردت.

بغداد — هبة الدين الحسيني

١٣٨٠هـ — ١٩٦١م

مؤلف نهج البلاغة وغرضه الشريف:

أما كتاب نهج البلاغة المنوه عنه المنتشر في دواوين الأدباء وأندية العلماء فلا ينبغي الشك في أنه تأليف الشريف الرضي محمد بن الْحُسَين ذي الحسبين المتوفى ٤٠٦هـ.

ونسبة الكتاب إليه مشهورة وأسانيد شيوخنا في إجازاتهم متواترة ونسخة عصر الشريف موجودة والتي وشحت بخطه الشريف مشهورة.

وشروح هذا الكتاب تنوف على الخمسين[١] ونسخها منتشرة في البلاد

---

(١) أورد المحدث النوري المتوفى سنة ١٣٢٠هـ في خاتمة مستدركه من أسماء الشروح المذكورة لكتاب نهج البلاغة المتواتر ذكره في إجازات مشايخ الحديث ستة وعشرين شرحاً:

١. شرح أبي الحسن البيهقي وهو أول من شرحه.

٢. شرح الإمام فخر الدين الرازي إلا أنه لم يتممه، صرح بذلك الوزير جمال الدين القفطي وزير السلطان بحلب في تاريخ الحكماء.

٣. شرح القطب الراوندي المسمى بمنهاج البراعة في مجلدين.

٤. شرح القاضي عبد الجبار المردد بين ثلاثة لا يعلم من أي واحد منهم إلا أنهم قريبون من عصر الشيخ الطوسي.

٥. شرح الإمام أفضل الدين الحسن بن علي بن أحمد الماهابادى شيخ الشيخ منتجب الدين صاحب الفهرست.

٦. شرح أبي الحسين محمد بن الحسين بن الحسن البيهقي الكيدري المسمى بالاصباح فرغ من تأليفه سنة ٥٧٦هـ.

٧. شرح آخر قبل شرح الكيدري المسمى بالمعراج.

٨. شرح ابن أبي الحديد المعتزلي ومختصره للفقيه الجامع المولى سلطان محمود بن غلام علي الطبسي.

٩. شرح الشيخ كمال الدين ميثم❖ البحراني الكبير والمتوسط والصغير.

❖ قالُوْا: مِيْثَمٌ بِكَسْرِ الْمِيْمِ، إلاّ الْبَحْرانِيَّ هَذا فَإنَّهُ بِفَتْحِها.

١٠. شرح الشيخ كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم العتائقي الحلي من علماء المائة الثامنة، وهو شرح كبير في أربع مجلدات.

١١. شرح المولى الجليل جلال الدين الحسين ابن الخواجة شرف الدين عبد الحق الأردبيلي.

١٢. شرح العالم النبيل المولى فتح الله بن شكر الله الكاشاني الشريف بالفارسية سماه تنبيه الغافلين وتذكرة العارفين.

١٣. شرح العالم الفاضل علي بن الحسن الزورائي المفسر المعروف أستاذ المولى فتح الله المذكور تلميذ السيد غياث الدين المسمى جمشيد الزورائي.

١٤. شرح العالم الكامل الحكيم الشيخ حسين بن شهاب الدين بن الحسين بن محمد بن الحسين بن العاملي الكركي المتوفى سنة ١٠٧٧هـ.

١٥. شرح الفاضل علي بن الناصر سماه أعلام نهج البلاغة ❖ ذكر صاحب (مصادر نهج البلاغة وأسانيده) السيد عبد الزهراء الخطيب ت: ١٤١٤هـ نقلا عن السيد الأمين أن شرح الفاضل علي بن الناصر هو أول من شرح النهج (السَيِّد الحسنّي).

١٦. شرح الفاضل نظام الدين الجيلاني سماه أنوار الفصاحة.

١٧. شرح العالم الجليل السيد ماجد البحراني ولكن في الأمل أنه لم يتم.

١٨. شرح السيد الجليل رضي الدين علي بن طاُوس (ره).

١٩. شرح المولى الجليل جمال السالكين عبد الباقي الخطاط الصوفي التبريزي المعروف بحسن الخط.

٢٠. شرح عز الدين الآملي كما في الرياض.

٢١. شرح السيد نعمة الله الجزائري العالم المُحَدّث.

٢٢. شرح السيد الجليل الميرزا علاء الدين كلستانه المسمى ببهجة الحدائق مختصر.

٢٣. شرح آخر له كبير يقرب من ثلاثين ألف بيت إلا انه ما جاوز الخطبة الشقشقية إلا نزراً يسيراً.

٢٤. شرح السيد عبد الله ابن السيد محمد رضا شبر الحسيني يقرب من أربعين ألف بيت.

٢٥. شرح آخر له عليه يقرب من ثلاثين ألف بيت.

٢٦. شرح الميرزا إبراهيم الخوئي، ونحن نضيف إلى ما ذكره شيخنا النوري ما يأتي:

٢٧. شرح المفتي محمد عبده.

٢٨. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة تأليف السيد حبيب الله بن محمد بن هاشم الهاشمي العلوي الموسوي الخوئي❖ في ثلاثة مجلدات كل مجلد يحتوي على ٣٠٠ صفحة بالقطع الكبير جداً وبعض المجلدات مطبوعة عن أصل نسخة خط المؤلف ولقد انتهى الجزء الثالث بالخطبة الـ (١١٨) مع شرحها وأولها: (وقد جمع الناس من حوله وحضهم على الجهاد...) الخ، وقد انتهى المؤلف من تأليفه سنة ١٣٠٣هـ.

❖ حدثني مرجع الأمة في عصره زعيم الحوزة العلمية في النجف الاشرف الإمام السيد أبو القاسم الموسوي الخُوَيِّيُّ (الخُوْئِيُّ) (قُدّسَ سِرُّهُ)(ت: ١٤١٣هـ) بحكاية طريفة حول شَرْح السيد حبيب الله الخُوَيِّيّ للنهج؛ وخُلاصَتُها أنّ السيد حَبيْبَ الله المذكور كانَ أبوه من كبار تُجّارِ عصره لكن ولده السيد حبيب الله آثَرَ طَلَبَ العِلْمِ حتى صار من أكابر الفقهاء والمجتهدين وصارت إليه الحكومة والقضاء في بلاده، واتفق أنْ وقع بين والده وأحد التّجار نزاع في قضيّة ماليّة وعُرِضَتْ على السيد حبيب الله فحكم فيها لذلك التاجر على أبيه، فغضب أبوه وأخرجه من داره ليسكن في قرية بعيدة عن الناس في عُزْلَةٍ تامّةٍ وهُنا انقدح في ذِهْنِهِ أن يقوم بشرح النهج فكان له ما أراد.(السَيِّد الحسنيّ)

٢٩.شرح المولوي الهندي.

٣٠.شرحنا الموسوم (بلاغ المنهج).

وأورد في فهرست الذريعة مؤلفه الإمام محمد محسن الطِهراني ما يأتي:

٣١.شرح ميرزا محمد باقر النواب اللاهجي المطبوع.

٣٢.شرح السيد محمد التقي ابن الأمير مؤمن القزويني المتوفى سنة ١٢٧٠هـ فرغ من مجلده الأول سنة ١٢٦٨هـ.

٣٣.شرح الشيخ جواد بن محرم علي الطارمي المتوفى بزنجان سنة ١٣٢٥هـ.

٣٤.شرح السيد حسن بن المطهر بن محمد بن الحسين الجرموزي اليماني المتوفى سنة ١١١٠هـ وهو المذكور في كتاب نسمة السحر.

٣٥.شرح المولى محمد الرفيع بن فرج الجيلاني المتوفى بطوس سنة ١١٦٠هـ.

٣٦. شرح السيد ذاكر الحسين اختر الهندي الدهلوي المسمى نيرنك فصاحت.

٣٧. شرح المولى محمد صالح بن محمد باقر الروغني (وهو غير البرغاني وكان من ابناء المائة الحادية عشر).

٣٨. شرح لمحمد بن حبيب الدين أحمد الحسيني فرغ منه سنة ٨٨١هـ.

٣٩. شرح موسوم (منهاج الولاية) وزع خطب النهج على ثلاثة أقسام الأول في التوحيد وأصول الدين والثاني في المواعظ والعبادات والثالث في الأخلاق.

٤٠. شرح مقتصر على حل الغريب من لغات نهج البلاغة قديم الكتابة لإمام الزيدية يحيى بن حمزة العلوي مصنف الطراز في علوم البلاغة المتوفى سنة ٧٤٩هـ.

٤١. شرح مختصر جامع للجمل المفيدة من شروح النهج القديمة موجود في الخزانة الرضوية بمشهد طوس.

٤٢. شرح مزجي لنهج البلاغة موجود في الخزانة الحسينية بمشهد الغري – النجف.

٤٣. شرح جهانكيز خان قشقائي.

٤٤. الشرح الموسوم بالنفائس لبعض علماء أهل السنة والنسخة مكتوبة سنة ٧٥٩هـ وهي في الخزانة الرضوية بمشهد طوس.

٤٥. شرح النهج المنسوب إلى العلامة التفتازاني المولى سعد الدين.

وأورد السيد عبد الزهراء الخطيب في كتابه مصادر نهج البلاغة شروحاً أخرى نذكر منها: (السَيِّد الحسنيّ)

٤٦. شرح نهج البلاغة لمحمد بن أحمد الوبري من أعلام القرن الخامس.

٤٧. التعليق على نهج البلاغة للسيد ضياء الدين أبي الرضا فضل الله بن علي بن عبيد الله الحسني الرّاوَنْدِيّ.

٤٨. شرح نهج البلاغة لأبي الفضل بن يحيى بن أبي طي حميد بن ظافر البخاري.

٤٩. شرح نهج البلاغة لأبي طالب تاج الدين علي بن انجب بن عثمان بن عبد الله المُؤَرّخ البغدادي المشهور بابن الساعي.

٥٠. شرح نهج البلاغة لأبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني العمري الحنفي صاحب (العُباب).

٥١. شرح النهج لابن العنقا السيد حسين بن مساعد بن الحسن الحسيني.

٥٢. شرح نهج البلاغة للعلامة الحلي جمال الدين أبي منصور الحسن بن سديد

الإسلامية مطبوعة ومخطوطة بأقدم الخطوط.

الدين يوسف بن علي بن المطهر.

٥٣. حواشي نهج البلاغة للشيخ أحمد بن الحسن الناوندي من أعلام القرن السابع.

٥٤. التحفة العلية في شرح البلاغة الحيدرية للسيد أفصح الدين محمد بن حبيب الله بن أحمد الحسيني.

٥٥. شرح النهج لقوام الدين يوسف بن الحسن الشهير بقاضي بغداد المتوفى حدود سنة ٩٢٢هـ.

٥٦. شرح نهج البلاغة للمولى عماد الدين علي القارئ الاسترابادي أحد أعلام القرن العاشر.

٥٧. شرح نهج البلاغة للشيخ علي المعروف بالحكيم الصوفي بالفارسية فرغ منه سنة ١٠١٦هـ.

٥٨. شرح نهج البلاغة للشيخ نور محمد ابن القاضي عبد العزيز ابن القاضي طاهر محمد المحلي بالفارسية سنة ١٠٢٨هـ.

٥٩. شرح نهج البلاغة للشيخ الرئيس أبي الحسن محمد الملقب بـ (نظام الدين).

٦٠. شرح نهج البلاغة للشيخ بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد العاملي الحارثي.

٦١. العقد النضيد المستخرج من شرح ابْنِ أبي الحديد لفخر الدين عبد الله بن المؤيد بالله.

٦٢. المستطرفات في شرح نهج الهداة للشيخ الإمام فخر الدين بن محمد بن علي بن أحمد بن طريح الطريحي النجفي.

٦٣. شرح نهج البلاغة للشيخ المحدث عبد الله بن صالح البحراني السماهيجي.

٦٤. شرح نهج البلاغة للشيخ أبي الرضا محمد علي بن بشارة من آل موحي الخاقاني النجفي المتوفى بعد سنة ١١٣٨هـ.

٦٥. شرح النهج للشيخ عبد النبي بن شرف الدين محمد الطوسجي الاذربيجاني.

٦٦. شرح نهج البلاغة للسيد الجليل محمد مهدي ابْنِ السيد مرتضى الحسيني الخاتون آبادي سِبْطِ الشيخ المجلسي المتوفى ١٢٦٣هـ.

٦٧. مظهر البينات للحاج نصر الله بن فتح الله الدزفولي فرغ منه ١٢٩٥هـ.

٦٨. مصباح الأنوار للسيد عبد الحسين الحسيني آل كمونة البروجردي المتوفى ١٣٣٦هـ.

ونسبة (ادوارد فانديك) في اكتفاء القنوع كتاب نهج البلاغة إلى الشريف المرتضى أخي الرضي خطأ منشؤه أن الشريف الرضي كان يلقب بالمرتضى[١] أحياناً لأن جده إبراهيم المرتضى ابن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام، كما أن أخاه المرتضى كان يلقب بذلك ثم بقي هذا اللقب على هذا ولقب الأول بالرضي يوم رضوا به نقيباً على نقباء العلويين ليتميز عن بقية آل المرتضى.

وعليه فكلما[٢] في مجموعة نهج البلاغة هو تأليف الشريف الرضي محمد بن الحسين بلا مراء.

أما نسبة انتحال الشريف الرضي جامع نهج البلاغة خطبة أو كلمة إلى سيدنا الإمام عليه السلام وتعمده الكذب عليه بأي دافع من الدوافع فشيء لا يسع أهل العلم والعرفاء بحال الرضي أن يقبلوه، لأن نزاهة الشريف معلومة وعفته مشهورة[٣] وزهده ثابت.

---

(١) لم أقف على مَدْرَك هذا القول. والظاهر أنّ صاحب (اكتفاء القنوع) اغْتَرَّ بكلام ابن خلّكان حول نهج البلاغة إذْ ذكر التردد في نسبة الشرح بين الأخوين الشريفين في ترجمة السيد المرتضى من (وفيات الأعيان).

(٢) كذا رُسمت هذه الكلمة في الأصل والصواب أن ترسم (كل ما) لأنَّ (ما) هُنا موصولة فَوَجَبَ فَصْلُها.

(٣) قال أبو الحسن العُمَرِيُّ في ترجمة الشريف الرضي: وكان له هيبة وجلالة وفيه ورع وعفة وتقشف، وكان عالي الهمة شريف النفس لم يقبل من أحد صلة ولا جائزة، حتى أنه ردّ صلات أبيه وناهيك بذلك شرف نفس وشدة ظَلَفٍ وأما الملوك من بني بويه فإنهم اجتهدوا على قبول صِلاتِهم فلم يقبل. وعن ابن الجوزي في إبراهيم بن أحمد الطبري الفقيه المالكي أن الشريف الرضي كان يحفظ عليه القرآن وهو شاب فقال للشريف يوماً: أين مقامك ؟ فقال : في دار أبي بباب مُحَوّلَ (وهو مَوْضِعٌ قريبٌ من محلّة الكَرخِ ☜

وورعه معروف[١] وقضاياه مع الخلفاء والوزراء برهان شهامته ونزاهة ضميره وصدقه في شعوره، وهو الذي أختاره الصابئي[٢] صاحباً وأخاً له في مذهب الأدب، حتى كان الصابئي يصوم شهر رمضان رعاية له، والرضي رثاه بالقصيدة المشهورة[٣] ولم يتعرض لدينه يوماً ما ولا لاحت له منه

☜ الْقَدِيْمَةِ). فقال له شَيْخُهُ: مِثْلكَ لا يقيم بدار أبيه قد نحلتك داري بالكرخ المعروفة بدار البركة؟ فأمتنع الرضي من قبولها وقال: لم أقبل من أبي قط شيئاً. فقال: إن حقي عليك أعظم من حق ابيك عليك لأني حَفَّظْتُكَ كَلامَ اللهِ، فقبلها. وكان قدس الله روحه يلتهب ذكاء وحدة ذهن من صغره.

(١) فمن ورعه ما رواه ابن زهرة في غاية الاختصار* ص٥٩ وغيره في غيرها أن القادر بالله العباسي كان في بلاده كاسمه وكان قد ولى الشريف الرضي نقابة النقباء وولى أباه إمارة الحج ومع ذلك لما عمل المحضر المشهور لإنكار نسب الملوك الفاطميين بمصر وكلف الحاضرين بالتوقيع أمتنع الشريف الرضي مستعظماً إنكار نسب ثابت ولم يخش بطش الخليفة فيه.

* تَسْمِيَةُ هذا الكتاب ونسبته غير ثابتَتَيْن فلا أسْمُهُ غاية الاختصار ولا مؤلّفه ابن زهرة وإنما هو قطعة من مبسوط في النسب للسيد تاج الدين ابن الطقْطِقي صاحب (الأصِيْليّ) سَطا عليه الشيخ أبو الهدى الصَيادِيّ وَدَسَّ فيه مالا يخفى علّى أرباب فَنِّ النسب وقد طُبِعَ هذا الكتاب بالعنوان الذي ذكره سيدنا الإمام الشهرستاني منسوباً إلى تاج الدين من آل زُهْرة والأمر كما ترى.(السَيِّد الحسنيّ)

(٢) إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون الحرّاني، أبو إسحاق الصابئ، ولد سنة ٣١٣هـ، نابغة كاتب جيله، له كتاب الهفوات النادرة وكتاب التاجي في أخبار بني بويه وديوان شعره، توفي سنة ٣٨٤هـ. الأعلام: ج١ص٧٨.

(٣) مطلعها:

أرأيت مَنْ حَمَلُوْا على الأعواد ... أرَأَيْتَ كيفَ خَبا ضِياءُ النادِيْ

لوائح التعصب الديني تساهلاً في مذهبه الأدبي كيف يجرأ مجترئ عليه فيحمله على أنه في تأليفه لنهج البلاغة كان مدفوعاً بدوافع العصبية.

إذن فما الذي دفعه إلى تجشم التأليف؟ نعم! كان الرضي في بداية أمره مولعاً بأساليب البلاغة شغفاً في صنعتي الإنشاء والكتابة ينتقي من جوامع الكلم أبلغها، ويختار من أحاسن الإنشاء أبدعها، ليُعِيْنَهُ حفظ ما جمع على كماله في صناعة الإنشاء وبراعته في فَنَّي الخطابة والكتابة، شأن المشتغلين بالأدب في كل عصر ومصر.

هذا ولا غيره حمل الشريف الرضي على تدوين الخطب والكتب والكلم المأثورة عن أمير البلغاء وإمام الفصحاء سيدنا علي عليه السلام، ولو كان يجمع لغرض فقهي أو غاية مذهبية لأورد كثيراً من الخطب بأسانيدها المستفيضة. وليس الرضي مخطئاً في سلوك هذا المذهب في الأدب لأننا شاهدنا جماهير العرب والعجم الشرقيين[1] والمستشرقين ممن يتطلبون بلاغة اللسان وبراعة القلم يستظهرون نهج البلاغة لما فيه من فصاحة بانسجام وبلاغة خالية من كل تعقيد أو تكلف وعروبة صميمة تعالى عهدها عن تصنعات عهد المولدين.

وليس الرضي بدْعاً من رُسُلِ الترسل ولا بأول سالك نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام والاستضاءة بنبراسه، فقد سبقته قوافل من رواد العبقرية الإنشائية مسترشدين بكلم علي عليه السلام وخطبه وكتبه فقد قال

---

(١) حكى عبد المسيح في شرح قصيدته: ص٥٤١ أن شيخه ناصيف اليازجي قال له: ما أتقنت الكتابة إلا بدرس القرآن العظيم ونهج البلاغة القويم فهما كنز العربية الذي لا ينفد وذخيرتها للمتأدب. وهيهات أن يظفر أديب بحاجته من هذه اللغة الشريفة إن لم يحي لياليه سهراً في مطالعتهما والتبحر في عالي أساليبهما.

عبد الحميد بن يحيى[١]:[٢]

((حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع ففاضت ثم فاضت)) يعني بالأصلع سيدنا علياً.

وقال ابن نباتة[٣]: ((حفظت من الخطب كنزاً لا يزيده الإنفاق إلا سعة، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب)).

وكم زيَّن الجاحظ[٤] كتبه مثل البيان والتبيين بفصول من خطب أمير المؤمنين إعجاباً بها وإعداداً للنفوس لبلوغ أقصى البلاغة.

هذه غاية الأدباء في حفظ كلامه وهذا ما حمل الشريف الرضي على جمع المختار من خطب علي عليه السلام وكتبه وكلمه في أبواب ثلاثة، وقال في مقدمة الكتاب أنه آثر لنفسه جمع المختار من ذلك وترك لكل باب أوراقاً بيضاء[٥] ليلحق بالمدون ما سيظفر به في المستقبل، ولم تكن في نفسه غير داعية الأدب داعية أخرى. ولو كان قلمه يحمل شيئاً من التعصب في

---

(١) عبد الحميد بن يحيى بن سعد المعروف بالكاتب، أديب كاتب بليغ، أصله من قيسارة ونشأ بالأنبار وسكن الشام، له رسائل في ألف ورقة ونصيحة الكتاب وما يلزم أن يكونوا عليه من الأخلاق والآداب، قتل مع مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية سنة ١٣٢هـ. معجم المؤلفين: ج٥/ ١٠٦.

(٢) وهو الذي قيل فيه: بَدَأتِ الكِتَابَةُ بعبد الحميد وَخُتمتْ بأبْنِ العميد.

(٣) عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباتة الفارقي (ابن نباتة)، أبو يحيى، خطيب حلب، توفى سنة ٣٧٤هـ. الكنى والألقاب: ج١/٤٣٦.

(٤) أبو عثمان، عمرو بن بحر بن محبوب الليثي البصري، اللغوي النحوي، كان من غلمان النظام المعتزلي وكان مائلاً إلى النصب والعثمانية، توفي بالبصرة سنة ٢٥٥هـ. الكنى والألقاب: ج٢/١٣٦.

(٥) البيضاء: صفة للمؤنثة المفردة، فالوَجْهُ أن يقولَ: أوراقاً بيْضاً.

المذهب لما أثبت في كتابه تأبين علي لعمر[١] بأعلى ما يمدح به ممدوح، وكان في مندوحة من حذفه كما سيأتي في حين أن هذا التأبين يحمل في تضاعيفه أقصى المدح وأعلاه. وأما ذمه له في الشقشقية إذا قيس بهذا المدح أضحى ظلاً مضمحلاً.

(١) كما في شرح النهج: ج٣/٩٢ (لله بلاء فلان فقد قوم الأَودَ وداوى العمد وأقام السنة وخلف الفتنة وذهب نقي الثوب قليل العيب أصاب خيرها وسبق شرها أدى إلى الله طاعته واتقاه بحقه رحل وتركهم في طرق متشعبة لا يهتدى بها الضالّ ولا يستيقن المهتدى).

سر الشك في نهج البلاغة:

إن مجموع نهج البلاغة عِقْدٌ في الأدب ثمين وينبوع للعلم غزير المادة لا ينبغي أن يستخف بوزنه لمجرد تعصب أشخاص أو طوائف ضعيفة المركز لا تعرف ثمن الحكمة ولا تلتفت إلى العواقب، قام في عصره سيد الشعراء بلا مراء ألا وهو الشريف الرضي فسَنَّ لنهضة النَّشْأ العربي نهج البلاغة واختار من مختار كلام أمير البلاغة وإمام الإنشاء مجموعة وافية بالغرض وثق من إسنادها وهو الثقة عند الجميع.

فما بال بعض إخواننا المنتمين إلى أهل السنة يقدحون في هذا الكتاب كله لمجرد تأثرهم مما في الخطبة الشقشقية وحدها؟!

وما بال بعض المتطرفين من إخواننا الشيعة يتوقفون في توثيق هذه المجموعة القيمة لمجرد استبعادهم لخطبة (لله بلاء فلان) المتضمنة تأبين سيدنا علي عليه السلام لعمر ونعته بالوصف الجميل؟!

ولنا في كلتا الخطبتين مجال التأويل.

صحة إسناد الشقشقية[١]:

أما الخطبة الشقشقية[٢] فلا يجوز لعالم أو منتحل للعلم أن يراها من الشريف الرضي، لأن كثيراً من أدباء عصره أثبتوها في مدوناتهم وأرسلوا نسبتها إلى علي إرسال المسلمات، كالوزير الآبي أبي سعيد منصور[٣] المتوفى ٤٢٢هـ في كتابيه نثر الدرر ونزهة الأديب.

ولو كانت الشقشقية وليدة عصرهم لعرفوا أمرها وتثبتوا في إسنادها شأن المعاصر مع معاصريه، ويدلك على أن شقشقية الوزير غير منقولة عن نهج البلاغة اختلاف بينهما في بعض الألفاظ والجمل.

وهناك من مشايخ الرضي الشيخ المفيد[٤] أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان علامة بغداد ورئيس المتكلمين بها في دولة بني بويه،

---

(١) الشِّقْشقيةُ: لهَاة البعير ولا تكون إلا للعربيّ من الإبل، وهو شيء كالرِّئة يخرجها البعير من فيه إذا هاج. لسان العرب: ج١٠/١٨٥ مادة (شقق). وتاج العروس: ج١٣/ ٢٥٠ مادة (شقق).

(٢) شَرحَهَا غيْرُ واحِدٍ من الأَعلام، كانَ آخِرهم العلاّمة الخطيب الكبير الشيخ عبد اللطيف البغداديّ رحمه الله تعالى والتفتَ فيها إلى نكاتٍ عِلْميّة لم يُنَبّه عليها غيْرُهُ وقد قَرَأَ عَلَيَّ الشَّرْحَ في أَثْناء إتْمامِهِ، ولا أدري أطُبِعَ بعد وفاته أم لا.

(٣) الوزير السعيد ذو المعالي زين الكفاة أبو سعيد منصور بن الحسين الآبي، فاضل، عالم، فقيه، شاعر، نحوي، لغوي، جامع لأنواع الفضل، قرأ على الشيخ الطوسي، وزر لمجد الدولة البويهي، له كتاب نزهة الأدب وكتاب نثر الدرر، توفي سنة ٤٢٢هـ. أعيان الشيعة: ج١٠/١٣٨.

(٤) محمد بن محمد بن النعمان المفيد، المكنى أبا عبد الله المعروف بابن المعلم، المولود سنة ٣٣٨هـ، له كتاب المقنعة وكتاب الإرشاد وكتاب في أحكام أهل الجمل وغيرها توفي لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة ٤١٣هـ. الفهرست: ٢٣٨.

وكان الشريف الرضي قد تلمذ على هذا الشيخ من عهد صباه وألف شيخه هذا كتاباً في المناقب اسماه الإرشاد تواترت نسبته إليه تجد فيه كثيراً من خطب الإمام عليه السلام ومن جملتها الخطبة الشقشقية أوردها في الصحيفة ١٣٥ قائلاً: وروى جماعة من أهل النقل من طرق مختلفة عن ابن عباس قال: كنت عند أمير المؤمنين عليه السلام بالرحبة فذكرت الخلافةُ وتقديم من تقدم عليه فتنفس الصعداء ثم قال: **أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة** ... الخ.

ولا يجوز اقتباس الشيخ المفيد هذه الخطبة من نهج البلاغة ونقلها إلى كتابه؛ لأن الرضي لا يُمَهِّدُ للخُطْبَةِ إسْناداً بل يقول: (ومن خطبة له وهي المعروفة بالشقشقية: **أما والله لقد تقمصها**) إلى آخر الخطبة في حين أن شيخه المفيد يمهد لها قصة وإسناداً.

زد على ذلك أن العادة تقضي بنقل التلامذة عن شيوخهم لا الشيوخ عن تلامذتهم، ويدلك على أن شقشقية المفيد غير منقولة عن نهج البلاغة لاختلاف بينهما في بعض الألفاظ والجمل.

والنتيجة أنفرد الشريف الرضي في نقله عن مصدر له؛ وأنفرد شيخه المفيد في نقله عن مصدر آخر، وأنفرد الوزير في نقله عن مصدر ثالث. نعم إنَّ جوهر المعاني والمقاصد واحد في الجميع.

الشقشقية كما في نهج البلاغة :

أَمَا وَاللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلانٌ[١]، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنهَا مَحَلُّ القُطْبِ مِنَ الرَّحَا، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً، وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ، يَهْرَمُ فِيهَا الكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ. فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى، فَصَبَرتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذىً، وَفِي الحَلْقِ شَجاً، أرى تُرَاثِي نَهْباً، حَتَّى مَضَى الأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ، فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فلان بَعْدَهُ.

ثم تمثل بقول الاعشى:

شتان ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابر

فَيَا عَجَباً!! بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لاخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ـ لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا! ـ فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ، يَغْلُظُ كَلْمُهَا، وَيَخْشُنُ مَسُّهَا، وَيَكْثُرُ العِثَارُ[فِيهَا] وَالاعْتِذَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ، إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ، فَمُنِيَ النَّاسُ ـ لَعَمْرُ اللهِ ـ بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ، وَتَلَوُّنٍ وَاعْتِرَاضٍ. فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ، وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ، حَتَّى إِذا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ. فَيَالله وَلِلشُّورَى! مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الأَوَّلِ مِنْهُمْ، حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ

---

(١) كما وردت في شرح ابن أبي الحديد.

إِلَى هذِهِ النَّظَائِرِ! لكِنِّي أَسِفْتُ إِذْ أَسِفُوا، وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا، فَصَغَا[1] رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِه، وَمَالَ الآخَرُ لِصِهْرِه، مَعَ هَن وَهَن.

إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ القَوْمِ، نَافِجاً حِضْنَيْهِ بَيْنَ نَثِيلِه وَمُعْتَلَفِه، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ اللهِ خَضْمَ الإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ، إِلَى أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْهِ فَتْلُهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ. فَمَا رَاعَنِي إِلاَّ وَالنَّاسُ إِلَيَّ كَعُرْفِ الضَّبُعِ، يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِب، حَتَّى لَقَدْ وُطِىءَ الحَسَنَانِ، وَشُقَّ عِطْفَايَ، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الغَنَمِ.

فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ، وَمَرَقَتْ أُخْرَى، وَفَسَقَ [وقسط] آخَرُونَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2]، بَلَى! وَاللهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا، وَلَكِنَّهُمْ حَلِيَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ، وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا!

أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَوْلاَ حُضُورُ الْحَاضِرِ، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللهُ عَلَى العُلَمَاءِ أَلاَّ يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِم، وَلا سَغَبِ مَظْلُوم، لأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا، وَلأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْز!

(قالوا) وقام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتاباً فأقبل ينظر فيه، قال له ابن عباس (رض): يا أمير

---

(١) أيْ: مالَ.

(٢) القصص: ٨٣.

المؤمنين لو اطَّرَدْتَ خطبتك من حيث أفضيت؟

قال: هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرت.

قال ابن عباس: فوالله ما أسفت على كلام قط كأسفي على هذا الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين بلغ منه حيث أراد.

الشقشقية كما في نسخة الآبي :

قال الوزير: وذكرت عنده الخلافة فقال: لقد تقمصها ابن أبي قحافة وهو يعلم أن محلي منها محل القطب ينحدر عني السيل ولا تترقى إلي الطير، فصبرت وفي الحلق شجى وفي العين قذى لما رأيت تراثي نهباً فلما مضى لسبيله صَيَّرها إلى أخي عدي فصيرها في ناحية خشناء تمنع مسها ويعظم كلامها فمني الناس بتلوم وتلون وزلل واعتذار، فلما مضى لسبيله صيرها إلى ستة زعم أني أحدهم! فيالله وللشورى متى اعترض فِيَّ الريب فأقرن بهذه النظائر، فمال رجل لضغنه وصغى آخر لصهره وقام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثله ومعلفه وقام معه بنو أبيه يهضمون مال الله هضم الإبل نبتة الربيع، فلما أجهز عليه عمله ومضى لسبيله ما راعني إلا والناس إلي سراعا كعرف الضبع وانثالوا عليَّ من كل فج حتى وطئ الحسنان وأنشق عطفاي فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخرى وفسق آخرون كأنهم لم يسمعوا كلام الله يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بلى والله لقد سمعوها ولكنهم احلولت الدنيا في عيونهم وراعهم زبرجها. أما والله لولا حضور الحاضر ولزوم الطاعة وما أخذ الله على العباد أن لا يقروا كظة ظالم ولا شغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها ولألفيتم دنياكم هذه أهون عندي من عفطة عنز:

سيان[1] ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابر

فقام رجل من القوم ناوله كتاباً شغل به.

قال ابن عباس: فقمت إليه وقلت: يا أمير المؤمنين لو بلغت مقالتك من حيث قطعت؟

فقال: هيهات كانت شقشقة هدرت فقرت.

---

(١) هذا تصحيف طريف لكن المعنى فيه ضد المعنى في الرواية المشهورة (شتان).

الشقشقية كما في إرشاد المفيد :

أم والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وأنه ليعلم أن محلي محل القطب من الرحا ينحدر عني السيل ولا يرقى إليَّ الطير لكني سدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحا ، وطفقت ارتاي بين أن أصول بيد جذاء أو اصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه ، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى أرى تراثي نهباً ، إلى أن حضره أجله فأدلى بها إلى عمر فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشد ما تشطرا ضرعيها :

شتان ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابر

فصيرها والله في ناحية خشناء يجفو مسها ويغلظ كلمها ويكثر العثار والاعتذار منها صاحبها . كراكب الصعبة أن أشنق لها خرم وإن أسلس لها عسف ، فمني الناس لعمر الله يخبط وشماس وتلون واعتراض ، إلى أن حضرته الوفاة فجعلها شورى بين جماعة زعم أني أحدهم! فيالله وللشورى متى أعترض الريب فِيَّ مع الأولين منهم حتى صرت الآن أقرن بهذه النظائر ، لكني اسففت إذ اسفوا وطرت إذ طاروا صبراً على طول المحنة وانقضاء المدة ، فمال رجل لضغنه وصغى آخر لصهره مع هن وهن . إلى أن قام ثالث القوم ناجفاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه وأسرع معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع ، إلى أن ثوت بطنته وأجهز عليه عمله فما راعني من الناس إلا وهم رسل إليَّ كعرف الضبع يسألونني أن أبايعهم

وانثالوا عليَّ حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطفاي، فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخرى وقسط آخرون كأنهم لم يسمعوا الله تعالى يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكن حليت دنياهم في أعينهم وراقهم زبرجها، أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر ولزوم الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء أن لا يقادوا إلى أولياء الأمر إلا يقروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها ولألفوا دنياهم هذه أزهد عندي من عفطة عنز.

قال: فقال إليه رجل من أهل السواد فناوله كتاباً فقطع كلامه، قال ابن عباس: فما اسفت على شيء ولا تفجعت كتفجعي على ما فاتني من كلام أمير المؤمنين عليه السلام فلما فرغ من قراءة الكتاب قلت: يا أمير المؤمنين لو أطردت مقالك من حيث أنتهيت إليها؟

فقال: هيهات هيهات يا بن عباس كانت شقشقة هدرت ثم قرت.

شقشقية البرقي[١] عن كتاب علل الشرائع[٢]:

والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وأنه ليعلم أن محلي محل القطب من الرحى ينحدر عنه السيل ولا يرتقي إليه الطير، فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحا وطفقت ارتاي بين أن أصول بيد جذاء أو اصبر على طخية عمياء يشيب فيها الصغير ويهرم فيها الكبير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه فرأيت أن الصبر على هاتي أحجى فصبرت وفي القلب قذى وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهباً حتى إذا مضى لسبيله فأدلى بها إلى فلان بعده! فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته، فصيرها والله في حوزة خشناء يخشن مسها ويغلظ كلمها ويكثر العثار والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة أنْ عنف بها حرن وإنْ اسلس بها غسق فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض مع هن وهن؛ فصبرت على طول المدة وشدة المحنة حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أني منهم! فياالله وللشورى متى أعترض الريب فِيَّ مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر؛ فمال رجل لضغنه وأصغى آخر لصهره وقام ثالث القوم ناجفاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو أبيه يهضمون مال الله هضم الإبل نبتة الربيع حتى أجهز عليه عمله وكبت به مطيبته فما راعني إلا والناس إلي كعرف الضبع قد

---

(١) أحمد بن أبي عبد الله محمد البرقي، أبو جعفر، كان ثقة في نفسه، يروي عن الضعفاء واعتمد المراسيل، له كتاب المحاسن وكتاب صوم الأيام وكتاب البلدان والمساحة وغيرها، توفي سنة ٢٧٤هـ. رجال النجاشي: ٧٦.

(٢) علل الشرائع: ج١/ ١٥٠.

انثالوا عليَّ من كل جانب حتى لقد وطأ الحسنان وشق عطفاي حتى إذا نهضت بالأمر نكثت طائفة وفسقت أخرى ومرق آخرون، كأنهم لم يسمعوا الله تعالى يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكن احلولت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها؛ والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء إلا يقروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألفيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها ولألفتم دنياكم أزهد عندي من عفطة عنز.

قال: وناوله رجل من أهل السواد كتاباً فقطع كلامه وتناول الكتاب. فقلت: يا أمير المؤمنين لو أطردت مقالك إلى حيث بلغت؟

فقال: هيهات هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرت، قال ابن عباس: فما أسفت على كلام قط كأسفي على كلام أمير المؤمنين عليه السلام إذ لم يبلغ به حيث أراد.

شقشقية الجلودي[1] عن كتاب معاني الأخبار:

والله لقد تقمصها أخو تيم وأنه ليعلم أن محلي محل القطب من الرحى ينحدر منه السيل ولا يرتقي إليه الطير فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحا؛ وطفقت ارتأي بين أن اصول بيد جذاء أو اصبر على طخية عمياء يدب فيها الصغير ويهرم فيها الكبير ويكدح مؤمن حتى يلقى الله، فرأيت الصبر على هاتين أحجى فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى أرى تراثي نهباً حتى إذا مضى لسبيله عقدها لأخي عدي بعدهُ فيا عجباً بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته فصيرها والله في حوزة يخشن مسها ويغلظ كَلمُها ويكثر العثار والاعتذار فصاحبها كراكب الصعبة إنْ عنف بها حرن وأن أسلس بها عسف فمني الناس بتلون واعتراض وبلواي مع هن وهنّى فصبرت على طول المدة وشدة المحنة حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أني منهم! فياالله لهم وللشورى متى أعترض الريب فِيَّ مع الأول حتى صرت الآن أقرن بهذه النظائر؛ فمال رجل بضغنه واصغى آخر لصهره وقام ثالث القوم ناجفاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو أبيه يهضمون مال الله هضم الإبل نبت الربيع حتى أجهز عليه عمله فما راعنى الا والناس إليَّ كعرف الضبع قد انثالوا عليَّ من كل جانب حتى لقد وطأ الحسنان وشق عطفاي حتى إذا نهضت بالأمر نكثت طائفة وفسقت أخرى ومرق آخرون؛ كأنهم لم يسمعوا الله تعالى يقول:

---

(١) عبد العزيز بن يحيى بن أحمد الجلودي يكنى أبا أحمد من أهل البصرة، له كتاب المرشد والمسترشد وكتاب المتعة وما جاء في تحليلها وكتاب مجموع قراءة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، توفي سنة ٣٣٢هـ. الكنى والألقاب: ج٢/١٤٨.

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بلى والله لقد سمعوا ولكن احلولت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الناصر وقيام الحجة وما أخذ الله على العلماء ألا يقروا كظة ظالم ولا سغب مظلوم ولألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من حبقة عنز.

قال: وناوله رجل من أهل السواد كتاباً فقطع كلامه وتناول الكتاب فقلت: يا أمير المؤمنين لو اطردت مقالتك إلى حيث بلغت؟ **فقال: هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرت**، فما أسفت على كلام قط كأسفي على كلام أمير المؤمنين صلوات الله عليه أنه لم يبلغ حيث أراد.

الناقلون للخطبة الشقشقية قبل الرضي:

سبقت منا الإشارة إلى أن الخطبة الشقشقية ليست وليدة عصر الشريف الرضي ولا هي مختصة بمجموعة (نهج البلاغة)، وكان في إيراد هذه الخطبة عن كتابَي نثر الدرر ونزهة الأديب بصورة تختلف بعض الاختلاف عما في النهج، وكذا اختلاف نسخة المفيد عنه دلالة على انفراد كل منهم بمصدر خاص به وأن أحدهم لم يطلع على ما رواه الآخر. وفي قول الرضي في صدر الخطبة: (ومن خطبة له عليه السلام المعروفة بالشقشقية)، دلالة أخرى على كونها مشهورة بين أهل العلم.

وأقوى برهان على صحة ما أدعيناه ورود هذه الخطبة بخطوط أقدم من عصر الرضي وروايتها عن شيوخ وجدوا من قبل أن يخلق الرضي وقبل أن يخلق أبوه كأبي علي الجبائي[١] المتوفى سنة ٣٠٣ هـ حسبما نقل عنه الشيخ إبراهيم القطيفي[٢] في كتابه الفرقة الناجية قال: (وقد روى الخطبة الشقشقية جماعة قبل الرضي كابن عبد ربه[٣] في الجزء الرابع

---

(١) أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان مولى عثمان بن عفان الجبائي، من رؤساء المعتزلة له مقالات على مذهب الاعتزال، توفي سنة ٣٠٣هـ. الكنى والألقاب: ج٢/١٤١.

(٢) هو الشيخ أبو إسماعيل إبراهيم بن سليمان القطيفي الغروي الحلي، هاجر إلى النجف أواخر جمادى الآخر سنة ٩١٣هـ، له شرح ألفية الشهيد والهادي إلى الرشاد في شرح الإرشاد وكتاب الفرقة الناجية، كان حياً سنة ٩٥١هـ. الفرقة الناجية: ص١٦.

(٣) أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم القرطبي (أبو عمر) عالم، أديب، شاعر. ولد في ١٠ رمضان سنة ٢٤٦هـ، من آثاره: العقد الفريد، ديوان شعر،

من العقد[١] وأبي علي الجبائي في كتابه وابن الخشاب[٢] في درسه والحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري[٣] في كتاب المواعظ والزواجر والصدوق في معاني الأخبار والشيخ المفيد.

أقول: وابن عبد ربه هذا هو المتوفى سنة ٣٢٧هـ وهو عثماني لأن له أرجوزة في تواريخ الخلفاء عَدَّ معاوية فيها رابع الخلفاء الراشدين ولم يذكر علياً من شدة نصبه، فهل بعد روايته للشقشقية عن علي عليه السلام يشك فيها منصف! وقد صرح فيلسوف المؤرخين ابن أبي الحديد[٤] في آخر شرحه للشقشقية ص٦٩ ج ١ قال: (حدثني شيخي أبو الخير مُصَدّقُ بْن شَبِيْبٍ

☜ وأخبار فقهاء قرطبة. وتوفي في ١٨ جمادى الأولى سنة ٣٢٨هـ بقرطبة. معجم المؤلفين: ج١١٥/٢.

❖سَمّاه المُؤلّف (العِقْد) وَإنّما طُبِعَ باسْم (العِقْد الْفَرِيد) وَمَنْ ذَكَرَهُ مِنْ قُدَماء الْمُؤلّفِيْنَ لا يُسَمّيْهِ إلاّ (الْعِقْد).

(١) تحرينا الجزء الرابع فلم نجد الشقشقية فيه فإما أن يداً أثيمة حذفت هذه الخطبة من النسخة الأصلية عند الطبع وإما أن القطيفي اشتبه في هذه النسبة عند نقله.

(٢) أبو محمد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشاب البغدادي العالم المشهور، ولد سنة ٤٩٢هـ، له كتاب المرتجل في شرح الجمل وشرح (اللمع) لأبن جنّي، توفي ببغداد سنة ٥٦٧هـ. وفيات الأعيان: ج١٠٢/٣.

(٣) أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري اللغوي العلامة، ولد سنة ٢٩٣هـ، له كتاب صناعة الشعر وكتاب الزواجر والمواعظ وكتاب الحكم والأمثال، توفي سنة ٣٨٢هـ. معجم الأدباء: ج٢٣٣/٨.

(٤) عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عالم بالأدب، من أعيان المعتزلة، ولد في المدائن سنة ٥٨٦ هـ، وخدم في الدواوين السلطانية، وكان حظيا عند الوزير ابن العلقمي، له كتاب شرح نهج البلاغة وكتاب الفلك الدائر على المثل السائر وكتاب القصائد السبع العلويات وغيرها، توفي ببغداد سنة ٦٥٦هـ. الأعلام: ج٣/ ٢٨٩.

سنة ٦٠٣هـ قال قرأت على الشيخ أبي عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشاب هذه الخطبة ... إلى أن قال: فقلت له: أتقول أنها منحولة؟ فقال: لا والله وإني أعلم أنها كلامه عليه السلام كما اعلم أنك مصدق. قال: فقلت: له أن كثيراً من الناس يقولون أنها من كلام الرضي؟ فقال: أنَّى للرضي ولغير الرضي هذا النفس وهذا الأسلوب؟ قد وقفنا على رسائل الرضي وعرفنا طريقته وفنه في الكلام المنثور وما يقع مع هذا الكلام في خل ولا خمر ثم قال: والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صنفت قبل أن يخلق الرضي بمائتي سنة، ولقد وجدتها مسطورة أعرفها وأعرف خطوط من هي من العلماء وأهل الأدب قبل أن يخلق النقيب أو أبو أحمد والد الرضي. قال ابن أبي الحديد: قلت ووجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي[١] إمام البغداديين من المعتزلة؛ وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضي بمدة طويلة. ووجدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر بن قبة[٢] أحد متكلمي الإمامية وهو الكتاب المشهور المعروف بكتاب الإنصاف: وكان أبو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضي موجوداً)[٣]

---

(١) عبد الله بن أحمد بن محمود، أبو القاسم البلخي، من متكلمي المعتزلة البغداديين، صنف في الكلام كتبا كثيرة، وأقام ببغداد مدة طويلة، وانتشرت بها كتبه، ثم عاد إلى بلخ فأقام بها، توفي ببلخ سنة ٣١٩. تاريخ الخطيب البغدادي: ج٩/٣٩٢.

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن قبة الرازي، أبو جعفر، متكلم، عظيم القدر، له كتاب الإنصاف في الإمامة وكتاب الرد على الزيدية وكتاب المسألة المفردة في الإمامة وغيرها، توفي في الري. رجال النجاشي: ٣٧٥.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١/٢٠٥.

انتهى كلامه.

أقول: وقال مدرس دار العلوم المصرية أحمد صفوة المؤرخين[١] في كتاب علي عليه السلام ص١٣٥ س٩: (من ذلك يتبين لك أن الشقشقية كانت معروفة قبل مولد الرضي من أكثر من طريق فلا تبعة إذن عليه ولا سبيل إلى اتهامه بانتحاله).

وقال أستاذ الحكماء ميثم بن علي بن ميثم البحراني[٢] المتوفى سنة ٦٧٩هـ أنه رأى الخطبة الشقشقية في كتاب الإنصاف لأبي جعفر بن قبة من أبناء القرن الثالث، كما أنه رآها في نسخة عليها خط أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات[٣] وزير المقتدر بالله العباسي[٤]، وذلك قبل مولد

---

(١) احمد زكي صفوت: كاتب ومؤلف مصري خريج مدرسة دار العلوم ومدرس اللغة العربية بمدرسة الأمير فاروق الثانوية سنة ١٣٤٥هـ، ثم في دار العلوم المصرية، له كتاب جمهرة خطب العرب وكتاب جمهرة رسائل العرب. معجم المطبوعات العربية: ج١/ ص٣٨٨.

(٢) كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، العالم الرباني والحكيم المتأله المدقق، صاحب الشروح على نهج البلاغة، يروي عن المحقق نصير الدين الطوسي والشيخ كمال الدين علي بن سليمان البحراني، ويروي عنه آية الله العلامة والسيد عبد الكريم بن طاوُس، توفي سنة ٦٧٩هـ وقبره في هلتا من قرى ماحوز. الكنى والألقاب: ج١/ ٤٣٣.

(٣) علي بن محمد بن موسى بن الفرات، أبو الحسن: وزير، من الدهاة الفصحاء الأدباء الأجواد، وهو ممهد الدولة للمقتدر العباسي، ولد في النهروان الأعلى (بين بغداد و واسط) سنة ٢٤١هـ، قتل ببغداد سنة ٣١٢هـ. الأعلام: ج٤/ ٣٢٤.

(٤) المقتدر بالله ، أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله احمد بن ابي احمد طلحة بن المتوكل على الله العباسي البغدادي، ولد سنة ٢٨٢هـ، انخرم نظام الإمامة في أيامه، وصغر منصب الخلافة، وكان سمحا متلافا للأموال، محق ما لا يعد ولا يحصى، قتل سنة ٣٢٠هـ. سير أعلام النبلاء للذهبي: ج١٥/ ٤٣.

الرضي بنيف وستين سنة.

أقول: وممن نقل الشقشقية في كتابه قبل عصر الرضي أحمد بن محمد البرقي المتوفى ٢٧٤هـ صاحب المؤلفات الوافرة، وقد نقل عنه الصدوق في كتاب علل الشرائع في الباب ١٢٢ مسنداً عن محمد بن علي ماجيلويه عن محمد بن القاسم عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن أبان بن عثمان عن أبان بن تغلب عن عكرمة عن ابن عباس قال: ذكرت الخلافة عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة ... الخ.

وممن نقل الخطبة الشقشقية قبل الرضي هو عبد العزيز بن يحيى الجلودي من شيوخ المائة الثالثة ومن الجامعين لخطب أمير المؤمنين عليه السلام، وقد روى عنه الصدوق[1] المتوفى سنة ٣٨١هـ في كتاب معاني الأخبار في الباب ٤٠٤ قال: حدثنا محمد بن إبراهيم بن اسحق الطالقاني قال: حدثنا عبد العزيز بن يحيى الجلودي قال: حدثنا أبو عبد الله أحمد بن عمار بن خالد قال: حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحمانى قال: حدثني عيسى بن راشد عن علي بن خزيمة عن عكرمة عن ابن عباس قال: ذكرت الخلافة عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: والله لقد

---

(١) أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، شيخ الحفظة ووجه الطائفة المستحفظة رئيس المحدثين والصدوق فيما يرويه عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام ولد بدعاء مولانا صاحب الأمر عليه السلام ونال بذلك عظيم الفضل والفخر فعمت بركته الأنام وبقيت آثاره ومصنفاته مدى الأيام، له نحو من ثلاثمائة مصنف منها: كتاب التوحيد وكتاب معاني الأخبار وكتاب علل الشرايع وغيرها، توفي بالري سنة ٣٨١هـ. الكنى والألقاب: ج١/ ٢٢١.

تقمصها أخو تيم وهو يعلم ... الخ.

ولقد ذكرنا هذه الخطبة على الوجه الذي رواه الجلودي كما رأيناها في معاني الأخبار ضمن الجداول الخمسة وهي تختلف عن رواية البرقي لها قليلاً كما أنهما تختلفان مع التي رواها المفيد وغيره اختلافاً يسيراً ولم يذكر القاءها في الرحبة أحد غير المفيد، وينشأ مثل هذا الاختلاف غالباً في النقل بسبب خيانة القوة الحافظة من الرواة أو التباس الحروف في الكتابة على النُسّاخ.

وممن روى الشقشقية قبل الشريف الرضي هو الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري المتوفى سنة ٣٩٥هـ حسبما نقل عنه ابن بابويه في معاني الأخبار باب ٤٠٤، ونقل عنه تفسيراً لكلمات هذه الخطبة وهذا من الجامعين لخطب أمير المؤمنين عليه السلام.

والخلاصة من تعداد أسماء الناقلين للشقشقية قبل الشريف الرضي حسبما تتبعناهم تسعة:

١. شيخ المعتزلة أبو القاسم البلخي المتوفى سنة ٣١٧هـ حسبما رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج ج١ ص٦٩ ط مصر من أبناء المائة الثالثة.

٢. الشيخ أبو جعفر بن قبة من أبناء المائة الثالثة في كتاب الإنصاف برواية ابن أبي الحديد والشيخ ابن ميثم البحراني في شرحيهما على الشقشقية.

٣. نسخة الخطبة الشقشقية قديمة الخط عليها كتابة الوزير أبي الحسن علي بن الفرات المتوفى سنة ٣١٢هـ حسبما رواه شيخ المتكلمين ابن ميثم البحراني في شرحه.

٤.أحمد بن محمد البرقي المتوفى سنة ٢٧٤هـ مصنف كتاب المحاسن حسبما روى عنه الشيخ الصدوق محمد بن بابويه في كتاب علل الشرايع في الباب الثاني والعشرين بعد المائة وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٢٨٩هـ.

٥.شيخ المؤرخين عبد العزيز بن يحيى الجلودي البصري من أبناء القرن الثالث حسبما رواه عنه ابن بابويه في الباب ٤٠٤ من كتاب (معاني الأخبار) المطبوع سنة ١٢٨٩هـ.

٦.شيخ المحدثين الحسن بن عبد الله بن سعيد[١] العسكري من أبناء القرن الثالث في كتاب المواعظ والزواجر حسبما روى عنه القطيفي في كتاب الفرقة الناجية، وروى عنه الصدوق ابن بابويه شرح الخطبة في معاني الأخبار باب ٤٠٤.

٧.شيخ المتكلمين ببغداد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان المفيد من شيوخ الشريف الرضي في كتابه الإرشاد ص١٣٥.

٨.الوزير الآبي أبو سعيد منصور من أبناء القرن الرابع في كتابه نثر الدرر.

٩. عبد الجبار[٢] قاضي القضاة وشيخ معتزلة بغداد المعاصر للشريف

---

(١) وصف العسكري هذا بـ (شيخ المحدّثين) فيه فهو أديب لغويّ شاعر وإن كان له اطلاع على الحديث فعلى نحو المشاركة لا التضلع والاختصاص.

(٢) عبد الجبار المعتزلي ابن أحمد بن عبد الجبار الهَمَذاني الأسد آبادي شيخ المعتزلة في عصره. استدعاه الصاحب بن عباد إلى الري من بغداد بعد سنة ٣٦٠هـ، وبقي فيها مواظبا على التدريس إلى أن توفي سنة ٤١٥هـ . الوافي بالوفيات: ج ١٨/ ٢٠، الكنى والألقاب: ج٣/ ٥٣.

وقد سَقَطَ اسْمُهُ وما يتعلّقُ به من الكلام البالغ نحو سَطْرَيْن من المطبوع من هذا

الرضي، فإنه أَوَّلَ عبارات هذه الخطبة دون أن يطعن في صدورها.

١٠. شيخ المعتزلة محمد بن عبد الوهاب أبو علي الجبائي المتوفى سنة ٣٠٣هـ حسبما رواه عنه الشيخ إبراهيم القطيفي في كتابه الفرقة الناجية.

الكتاب وأَثْبَتْناهُ اعتِماداً على النُّسخة الخطّية الموجودة في مكتبة الجوادين عليهما السلام في الكاظمية.

الدفاع عن الشقشقية:

وقفت أيها الناظر على جملة من مشاهير أهل العلم الذين أوردوا في كتبهم الخطبة الشقشقية مروية عن الإمام عليه السلام ممن وجدوا قبل أن يوجد الشريف الرضي، وسوف تقف على جملة أخرى من ثِقاتِ أهل الأثر وزعماء الفرق الإسلامية واعتمد على هؤلاء وأمثالهم من تأخر عنهم.

فقد حكي عن نهاية[1] ابن الأثير[2] المتوفى سنة ٦٠٦هـ أنه أشار إليها في مادة (شقق) وعن مناقب[3] ابن الجوزي[1] المتوفى سنة ٥٩٧هـ ورواها؛ وهو

---

(١) النهاية في غريب الحديث: ج٢/ ٤٨٩.

(٢)المبارك بن محمد الشيباني الجزري ثم الموصلي، ولد ٥٤٤هـ في جزيرة ابن عمر في أحد الربيعين، له: جامع الأصول وغريب الحديث وغيرهما، توفي سنة ٦٠٦هـ في الموصل. سير أعلام النبلاء: ج٢١/ ٤٨٨.

(٣) لم نَقِفْ على كتاب (المناقب) لابْنِ الجوْزِيّ لا مطبوعاً ولا مخطوطاً، نعم في (مكتبة الإمام الرضا عليه السلام) في مَشْهد المقدّسة نسخةٌ في مناقب الأئمة عليهم السلام نَسَبَها مُفهْرِسُ المكتبة المذكورة إلى ابْنِ الجوزيّ وكانَ صديقُنا العلاّمة الكبير الدكتور عبد الحكيم الأنيس الحَلَبِيُّ الحنفيُّ قد أَرْسَلَ إِليَّ أَيّام إقامتي في مدينة قُمّ المقدّسة نُسْخَتُهُ الخطّية في (مكتبة الإمام الرضا عليه السلام) فَغَلَبَ على ظَنّي أنه كتاب (تذكرة الخواص) لسِبْطِهِ*، وَبَعْدَ التحقيق والمقابلة ظَهَرَ أنه على ما ظَنَنْتُ (تذكرة الخواص) فَعَدَلْتُ عن تصويرِهِ لكونهِ مطبوعاً غير مَرَّة، وآخر طبعاتهِ ما صَدَرَ عن دار الكتب العلمية في بيروت بتحقيق الأستاذ خالد عبد الغني محفوظ وهو تحقيق جَيِّدٌ. والظاهِرُ أنه هو المقصودُ هُنا.

* يوسف بن قزاوغلي بن عبد الله ، سبط أبي الفرج ابن الجوزي، ولد سنة ٥٨١هـ ببغداد ونشأ بها، له منتهى السول في سيرة الرسول والانتصار والترجيح واللوامع في الحديث، توفي سنة ٦٥٤ هـ في دمشق. الأعلام: ج٨/ ٢٤٦.

الرأي السائد عند أهل العلم؛ إذا فالنصفة تدعو إلى الإذعان بها وأن جملها مفروغة عن لسان علي عليه السلام وعن تأثراته الشخصية التي لابد أنْ تكون صادرة من مثله.

ونشعر في الوقت نفسه أن الأسلوب فيها هو أسلوب علي عليه السلام في خطبه والتنهدات تنهداته.

أما القول بأن لا يجهر مثله في المجتمعات بمثل هذا الكلام على أولي أمر سبقوه في ملك وطدوه؛ فقول لا ينطبق على نفس الأمر، لأن الذين رووا عنه الخطبة لم يشيروا إلى إلقائها في محتشد من الناس أو على جمهور، وإنما ذكروا أنها شقشقة هدرت منه عند بعض أصحابه في الرحبة أي بصورة خصوصية؛ فلا يستبعد بث شكواه لدى خاصته وإن اشتملت على بعض القوارص.

وفي كتابه إلى عامله عثمان بن حنيف يقول: (بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلت عليها السماء فشحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس قوم)[٢] ... الخ.

يعني بالأول من سبقوه بالخلافة ويعني بالآخرين أهل بيت النبي صلوات الله عليهم.

وكان أبو الحسن عليه السلام خشناً في جنب الحق صريحاً في المعتقد، حتى أنه خاطب عمرو بن العاص بابن النابغة وقد عَيَّر عثمان بن عفان من قبل،

---

(١) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد التَيْميّ البكريّ البغدادي الحنبلي المعروف بابن الجوزي، ولد سنة ٥١٠هـ تقديراً، له زاد المسير في التفسير والمنتظم وتلقيح فهوم الأثر وغيرها، توفي ببغداد سنة ٥٩٧هـ. وفيات الأعيان: ج٣/ ١٤٠.

(٢) نهج البلاغة: ج٣/ ٧١.

ونعت معاوية بالفاجر ابن الفاجر.

وخلاصة القول أن نظرات ضعيفة كهذه لا تستوقف الباحث عن الحقائق إذا صح النَّقْلُ وَتَجلّى الأَمْرُ.

الجامعون لخطب الإمام قبل الرضي:

يظن من أشرف على مجموعة الشريف الرضي قبل أن يبحث عما كتبه السلف أن الشريف الرضي هو أول مَنْ دَوَّنَ الْخُطَبَ أو هو أول جامع لخطب الإمام عليه السلام.

ولكن يجب أن يعلم بالحاجة الشديدة التي مست المسلمين عامة في بدء توسع الحضارة الإسلامية فدفعتهم إلى حفظ الكلام البليغ واستكتابه، إذ كانت العرب قبل حضارتها تتوجه إلى الكلام البليغ من شعر وخطبة وحكمة فتحفظ ما تعيه ولا تجهل فائدة ذلك، إلا أنهم بعد التوسع في الحضارة شعروا بالحاجة القوية إلى براعة اللسان والقلم، وأن الواحد منهم يُقَدَّرُ بلسانه لا بطيلسانه، وترفع منزلته في دواوين الدولة على قدر مقدرته الإنشائية، وينال الزلفى لدى الملوك والأمراء حسب مبلغه من بلاغة الكلام ومبلغ حفظه للكلم الممتاز والحكم العالية.

هذه وغير هذه دفعت العرب إلى جَمْعِ النوادر والخطب، وكان أمير المؤمنين عليه السلام في مقدمة المشهورين بنوادر الحكم وطرائف الكلم، فآثر الناس جمع المأثور عنه على غيره إذ كان الإعجاب ببلاغته أعظم والمأثور عنه أوفر.

وقد ظَفِرْتُ بكثير ممن جمعوا خطب الإمام عليه السلام في أعصار قبل الشريف الرضي - أي من أبناء المائة الأولى والمائة الثانية والمائة الثالثة وما بعدها - أقدم للقارئ الكريم أسماءهم رفعاً للشبهة وتقوية للحجة وخدمة للتاريخ كي لا يستوحش أحد من الخطب المجموعة من الشريف

الرضي أو يستغرب كثرتها.

وقد نشر أبو عبيد القاسم بن سلام[١] المتوفى سنة ٢٢٤هـ في غريبه وابن قتيبة عبد الله بن مسلم المروزي[٢] المتوفى سنة ٢٧٦هـ في كتابه غريب الحديث وفي غيره وكثير من المؤلفين في عهد التابعين شذرات من المأثور عن أمير المؤمنين عليه السلام في أبواب المواعظ والحكم والدعاء وغيرها.

قال ابن أبي الحديد في أواخر شرحه لنهج البلاغة ما لفظه: (وأنا الآن أذكر من كلامه الغريب - يعني أمير المؤمنين عليه السلام - ما لم يورده أبو عبيد ولا ابن قتيبة في كلامهما وأشرحه أيضاً)[٣].

أما الجامعون لخطب الإمام عليه السلام من الأقدمين فمنهم:

١. زيد بن وهب المتوفى سنة ٩٦هـ، قال شيخنا النوري في خاتمة مستدركه على الوسائل ص٨٠٥ نقلاً عن الشيخ الطوسي أبي جعفر محمد بن الحسن المتوفى سنة ٤٦٠هـ قال: إن لزيد بن وهب كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر في الجمع والأعياد.

---

(١) القاسم بن سلام المكنى أبا عبيد من الأعلام المشهورين، له كتاب غريب القرآن وكتاب غريب الحديث وغيرهما، ولي القضاء بطرطوس ثماني عشرة سنة، توفي في مكة بعد فراغه من الحج سنة ٢٢٤هـ.

(٢) أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري المروزي المعروف بابن قتيبة، من أكابر علماء العامة، وكان قاضياً بالدينور فنسب إليها، له المعارف في التاريخ وكتاب أدب الكاتب وكتاب الإمامة والسياسة وغيرها توفي سنة ٢٧٦هـ. الكنى والألقاب: ج١/٣٨٥.
ولا علاقة له بقتيبة بن مسلم الباهلي القائد في أيام الأمويين فهذا عربي، وابن قتيبة فارسي الأصل وقد وَهِمَ بعض الأساطين في نسبته إليه لتشابه الأسماء لذا نبهتُ عليه(السَيِّد الحَسَنيّ).

(٣) شرح نهج البلاغة: ج١٩/١٤٠.

٢. نصر بن مزاحم[١] صاحب كتاب صفين ومن مشاهير الأخباريين في المائة الثانية؛ له كتاب في خطب علي عليه السلام كما في خاتمة مستدركات النوري ص٨٠٥، وقد أورد له عليه السلام خطباً وكلمات في كتبه الأخرى، أما كتب المغازي والحروب والأخبار والسير التي اشتملت على كلمات علي عليه السلام وخطبه فهي أكثر من خمسمائة مصنف توفي أصحابها قبل أن يولد الشريف الرضي.

٣.إسماعيل بن مهران أبو يعقوب السكوني[٢] من العلماء المحدثين في المائة الثانية، صنف كتاب خطب أمير المؤمنين، صرح بذلك الشيخ أبو عَمْرو ومحمد ابن عمر الكشي من أبناء المائة الرابعة والشيخ أبو العباس النجاشي المتوفى سنة ٤٥١هـ وغيرهما في فهارسهم.

٤.أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي[٣] المؤرخ المشهور المتوفى سنة ٢٠٦هـ صنف كتاب خطب علي عليه السلام وكثيراً ما ينقل عنه المفيد في إرشاده والرضي في مجموعته.

---

(١) نصر بن مزاحم المنقري العطار أبو المفضل، كوفي، من علماء المائة الثانية، له كتاب صفين وكتاب النهروان وكتاب الغارات وغيرها. رجال النجاشي: ٤٢٧.

(٢) إسماعيل بن مهران، أبو يعقوب السكوني، من علماء المائة الثانية، مولى كوفي ثقة معتمد عليه، له كتاب الملاحم وكتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام وكتاب ثواب القرآن. الفهرست: ٤٦.

(٣) هشام بن محمد بن السائب الكلبي، أبو المنذر، النّاسب العالم من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، له كتاب المُذَيَّل الكبير وكتاب المُعَمَّرِيْنَ وكتاب أخبار قريش وغيرها. رجال النجاشي: ٤٣٤.

٥.أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي[١] الأخباري المشهور من أبناء المائة الثانية، صنف كتاب الخطبة الزهراء لأمير المؤمنين عليه السلام صرح بذلك أبو الفرج ابن النديم في الفهرست.

٦.الواقدي محمد بن عمر بن واقد الأسلمي[٢] المتوفى سنة ٢٠٧هـ، وقد نقل الشريف الرضي عن خَطِّهِ في نهج البلاغة بعض الخطب.

٧. أبو اسحق إبراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي الكوفي[٣] المحدث المشهور المتوفى سنة ٢٨٣هـ، فقد صنف كتاب رسائل علي أمير المؤمنين عليه السلام وكتاب كلامه في الشورى وكتاب الخطب المعربات (خ ل المقريات كما قاله النجاشي).

روى كثيراً من كلامه وجوامع ألفاظه في كثير من كتبه.

٨. المدائني أبو الحسن علي بن محمد[٤] المولود سنة ١٣٥هـ والمتوفى سنة ٢١٥هـ، صنف كتاب خطب علي عليه السلام وكتبه إلى عماله عن ابن

---

(١) لوط بن يحيى، أبو مخنف، من علماء المائة الثانية، من أصحاب الإمام الحسن والحسين عليهما السلام ، له كتاب أخبار المختار بن أبي عبيدة الثقفي وكتاب خطبة الزهراء عليها السلام وغيرهما. الفهرست: ٢٠٤.

(٢) محمد بن عمر بن واقد المدني، أبو عبد الله، ولد سنة ١٣٠هـ، من أقدم مؤرخي الإسلام، ولي القضاء في محلة الرصافة من بغداد، له كتاب التصانيف وكتاب المغازى وكتاب الردة وغيرها، توفي سنة ٢٠٧هـ. الكنى والألقاب: ج٣/٢٧٨.

(٣) إبراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي الكوفي، أبو إسحاق، كوفي أصله أنتقل إلى أصفهان وأقام بها وكان زيدياً أولاً ثم أنتقل إلى القول بالإمامة، له كتاب بيعة أمير المؤمنين عليه السلام وكتاب الجمل وكتاب أخبار المختار، توفي سنة ٢٨٣هـ. الفهرست: ٣٦.

(٤) علي بن محمد المدائني، أبو الحسن، عامي المذهب، له كتاب مقتل الإمام الحسين بن علي عليهما السلام وكتاب الخونة لأمير المؤمنين عليه السلام . الفهرست: ١٥٩.

النديم وغيره.

٩. الحسن بن علي بن الحسن بن شعبة الحراني[١] من علماء المائة الثالثة له كتاب تحف العقول مشحون بخطب أمير المؤمنين عليه السلام وكلماته الغرّ.

١٠. صالح بن أبي حماد أبي الخير[٢] من المحدثين في المائة الثالثة ومن أصحاب سيدنا الحسن العسكري عليه السلام ؛ له كتاب خطب علي عليه السلام كما فهرست النجاشي.

١١. السيد عبد العظيم بن عبد الله الحسني[٣] المعروف بالشاه والمدفون في الري بقرب طهران من أبناء المائة الثانية ومن أصحاب سيدنا الإمام الرضا عليه السلام ، له كتاب في خطب جده أمير المؤمنين عليه السلام كما في فهرست النجاشي.

١٢. مسعدة بن صدقة العبيدي[٤] من أصحاب الإمام الصادق وسيدنا الكاظم عليهما السلام في المائة الثانية له كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام حسبما

---

(١) الشيخ أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني الحلبي. وهو من أهل المائة الرابعة معاصر للصدوق الذي توفي سنة ٣٨١هـ، ويروي عن أبي علي محمد بن همام المتوفى سنة ٣٣٦هـ، له كتاب تحف العقول عن آل الرسول .

(٢) صالح بن أبي حماد الرازي، أبو الخير، لقى أبو الحسن العسكري عليه السلام ، له كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام وكتاب النوادر. رجال النجاشي: ١٩٨.

(٣) عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، نزيل الري، له كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام . رجال النجاشي: ١٩٨.

(٤) مسعدة بن صدقة العبديّ، أبو محمد، يروي عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام ، له كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام . رجال النجاشي: ٤١٥.

قاله النجاشي.

١٣ .إبراهيم بن سليمان النهمي الخزاز الكوفي[١] له كتاب الخطب لأمير المؤمنين عليه السلام وهو من المائة الثالثة كما في فهرست النجاشي.

١٤ .أبو عثمان الجاحظ عمرو بن بحر المتوفى سنة ٢٢٥هـ له كتاب مائة كلمة من كلمات علي أمير المؤمنين عليه السلام.

١٥ .عبد العزيز الجلودي بن يحيى البصري الأخباري المشهور من علماء المائة الثالثة للهجرة صنف وحده في هذا الموضوع كتباً عشرة وهي:

أ) كتاب خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

ب) كتاب شعر علي عليه السلام.

ج) كتاب رسائل علي عليه السلام.

د) كتاب مواعظ علي عليه السلام.

هـ) كتاب ملاحم علي في الملاحم يعني المغيبات من الحوادث المستقبلة.

و) كتاب علي في الشورى.

ز) كتاب ما كان بين علي وبين عثمان من الكلام.

ح) كتاب دعاء علي عليه السلام.

ط) كتاب ذكر علي لخديجة ولفضائل أهل البيت عليهم السلام.

ي) كتاب بقية رسائل علي وخطبه كرم الله وجه.

فإذا وقفت على هؤلاء الجماهير من حملة الآثار وَثقِات النقلة

---

(١) إبراهيم بن سليمان النهمي الخزاز الكوفي، ثقة في الحديث سكن الكوفة، له كتاب النوادر وكتاب الخطب وكتاب أخبار ذي القرنين. الفهرست: ٣٨.

وقدرت الاهتمام العظيم من السلف بحفظ الخطب واستظهارها واستنساخ الكتب والرسائل ممن قصصنا عليك أسماءهم ومنهم من لم نقصص عليك وربما كان هذا القسم أكثر، انجلت عن قلبك غيوم الشبهة التي يأتي بها من هنا وهناك الشاكُّون والمنحرفون.

مصادر قديمة لما في نهج البلاغة :

إن من أقوى ما يجلو غيوم الشكوك والأوهام عن أفق هذه المجموعة التي حوت بين الدفة خطب الإمام وكتبه وكلماته وحول نزاهة الشريف الرضي عن إضافة شيء فيها غير مأثور لهو هذا الذي نبديه الآن، فإنا نحصي عليك[١] عديداً من المؤلفين الاثبات الذين رووا خطب أمير المؤمنين عليه السلام ورسائله في كتبهم من قبل أن يولد الرضي وقبل أن يخلق؛ وهذا الفصل يعد علاوة لما فصلناه فيما سبق من أسماء الجامعين لخطبه وكتبه وكلمه.

ولقد ظفرنا على[٢] كتب قديمة العهد تشمل على كثير من خطب الإمام علي عليه السلام ولا تعدم الخطبة سنداً أو أسانيد يجلب نحوها اعتماد النفس وهي:

١. الكافي للشيخ الكليني محمد بن يعقوب[٣] المتوفى سنة ٣٢٨هـ ولاسيما في جزء الروضة منه ففيه عشرات من خطب الإمام ضافية الذيول موصولة الأسناد بالأسناد وكذا في كتابه الرسائل.

---

(١) الوجه: لَكَ.

(٢) الوَجْه أنْ يُقالَ: ظَفِرْنا بكُتُبٍ.

(٣) أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي الملقب ثقة الإسلام، قدوة الأنام، وملاذ المحدثين العظام، ومروج المذهب في غيبة الإمام عليه السلام، وكان أوثق الناس في الحديث وأثبتهم. صنف الكتاب الكبير المعروف بالكليني يسمى الكافي في عشرين سنة، وله غير كتاب الكافي كتاب الرد على القرامطة وكتاب رسائل الأئمة عليهم السلام وكتاب ما قيل في الأئمة عليهم السلام من الشعر، توفي ببغداد سنة ٣٢٩هـ. الكنى والألقاب: ج٣/ ١٢٠.

٢. كتاب التوحيد للشيخ الصدوق محمد بن بابويه القمي المتوفى سنة ٣٨١هـ؛ ففيه عدد لا يستهان به من خطب التوحيد وما يناسبه، وكذلك في كتبه الأخرى كمن لا يحضره الفقيه وفي أماليه وفي مدينة العلم وفي الخصال وفي علل الشرائع وفي معاني الأخبار.

٣. كتاب الإرشاد للشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد النعمان المتوفى ببغداد سنة ٤١٣هـ فإن في أبواب فضائل الإمام علي عليه السلام لقدراً كبيراً من خطبه الغرّ في أبواب شتى نحو أربعين صحيفة وبعضها يختلف عما في النهج اختلافاً يسيراً.

٤. العقد الفريد للمؤرخ في الدولة الأموية المغربية أحمد بن عبد ربه المتوفى سنة ٣٢٧هـ.

٥. نزهة الأديب وكذا نثر الدرر للوزير الآبي أبي سعيد منصور المتوفى سنة ٤٢٢هـ في سبعة مجلدات؛ ويوجد بكتابة قديمة الخط في بعض خزائن النجف.

٦. تحف العقول للحسن بن شعبة الحراني من علماء المائة الثالثة.

٧. روضة الواعظين للفتال النيسابوري[١].

٨. تأريخ الملوك والأمم لمحمد بن جرير الطبري[٢] المتوفى سنة ٣١٠هـ.

---

(١) الشيخ الأجل السعيد الشهيد أبو علي محمد بن الحسن بن علي بن أحمد النيسابوري، كان من علماء المائة السادسة ومن مشايخ ابن شهرآشوب، يروي عن الشيخ الطوسي وعن أبيه الحسن بن علي عن السيد المرتضى رضي الله تعالى، له كتاب روضة الواعظين و كتاب التنوير في التفسير، قتله أبو المحاسن عبد الرزاق رئيس نيسابور الملقب بشهاب الاسلام. الكنى والألقاب: ج٣/ ١٢.

(٢) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، ولد بآمل طبرستان في آخر سنة

٩. المسترشد في الإمامة لمحمد بن جرير بن رستم الطبري الاملي[١] المعاصر لسميه السالف ذكره، وعبثاً أحاول إثبات أرقام متسلسلة لهذا المبحث الذي لا يدخل تحت الحساب، وقلما يوجد سفر أدبي أو ديني أو تأريخي يخلو من خطب الإمام وكلمه.

وقد قال مدرس دار العلوم المصرية أحمد صفوة المؤرخين في كتاب علي عليه السلام ص١٢٥: (أن الأدباء والمؤرخين الذين تقدموا الشريف الرضي كانوا يوقنون أن خطب الإمام بضع مِئات) وقال المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦هـ: (إن الخطب المنقولة عن أمير المؤمنين عليه السلام هي أربعمائة ونيف وثمانون خطبة)، وهذا المؤرخ الثقة توفي قبل أنْ يولد الشريف الرضي ببضعة عشر عاماً.

أضف إلى ذلك كتب محمد بن السائب الكلبي[٢] المتوفى سنة ١٤٦هـ وكتب محمد بن عمر الواقدي المتوفى سنة ٢٠٧هـ وكتب عبد الملك بن

☜ ٢٢٤هـ أو أول ٢٢٥هـ، استوطن بغداد، واختار لنفسه مذهبا في الفقه، من تصانيفه جامع البيان في تأويل القرآن، تاريخ الأمم والملوك، تهذيب الآثار وغيرها، وتوفي ليومين بقيا من شوال سنة ٣١٠هـ في بغداد. معجم المؤلفين: ج٩/ ١٤٧.

(١) محمد بن جرير بن رستم بن جرير الطبري الآملي، أبو جعفر، من علماء الإمامية. ولد سنة ٢٢٦هـ، له كتاب المسترشد في الإمامة، دلائل الإمامة الواضحة، مناقب فاطمة وولدها وغيرها، توفي في بغداد أوائل شوال سنة ٣١٠هـ. معجم المؤلفين: ج٩/١٤٦.

(٢) محمد بن السائب بن بشر الكلبي الكوفي، صاحب التفسير وعلم النسب، توفي بالكوفة سنة ١٤٦هـ. وفيات الأعيان: ج٤/٣٠٩.

هشام[١] المتوفى سنة ٢١٣هـ وكتب أحمد ابن يحيى البلاذري[٢] المتوفى سنة ٢٧٩هـ وكتب أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني المرواني[٣] المتوفى سنة ٣٥٦هـ وكتب أحمد بن محمد البرقي المتوفى سنة ٢٧٤هـ.

وأما الناقلون لخطبه بعد الشريف فهم لا يحصون كالقاضي القضاعي[٤] في دستور الحكم[٥] واخطب خوارزم موفق بن أحمد[٦] في مناقبه[٧] والكنجي الشافعي[٨] في كفاية الطالب[١] وابن طلحة

---

(١) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، له كتاب في أنساب بني حِمْير وملوكها وكتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله المعروف بسيرة ابن هشام وغيرها، توفي بمصر سنة ٢١٣هـ. وفيات الأعيان: ج٣/١٧٧.

(٢) أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، أبو الحسن،ولد أوائل القرن الثاني الهجري، من أهل بغداد، له كتاب فتوح البلدان وكتاب أنساب الأشراف، توفي سنة ٢٧٩هـ. معجم الأدباء: ج٥/٨٩.

(٣) علي بن الحسين بن محمد الاصبهاني الأصل والبغدادي المنشأ، له كتاب الأغاني وكتاب مقاتل الطالبين وكتاب دعوة التجار، توفي سنة ٣٥٦هـ. وفيات الأعيان: ج٣/٣٠٧.

(٤)محمد بن سلامة، أبو عبد الله، القاضي القضاعي، تولى القضاء بمصر، له كتاب تواريخ الخلفاء وكتاب خطط مصر وكتاب الشهاب، توفي بمصر سنة ٤٥٤هـ. الكنى والألقاب: ج ٣/ ٥٥.

(٥) كذا ورد في المخطوط والنسخ المطبوعة، والصحيح دستور معالم الحكم، والكتاب بأكمله يحتوي على كلام أمير المؤمنين عليه السلام.

(٦) الموفق بن أحمد الخوارزمي (أخطب خوارزم)، أبو المؤيد، من علماء المائة الخامسة الهجرية، له كتاب مناقب أهل البيت عليهم السلام، توفي سنة ٥٦٨هـ. الكنى والألقاب: ج٢/١٥.

(٧) المناقب: ٣٦٤.

(٨) محمد بن يوسف بن محمد الكنجي الشافعي، الحافظ أبو عبد الله، له كتاب كفاية الطالب في المناقب وكتاب البيان في أخبار صاحب الزمان، توفي سنة ٦٥٨هـ.

الشافعي[٢] في مطالبه[٣] وابن الجوزي في المدهش[٤] والشيخ إبراهيم الكراجكي[٥] في فوائده[٦] وغيرهم في غيرها.

☜ الكنى والألقاب: ج٣/١٢٣.

(١) كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام: ٣٩١.

(٢) محمد بن طلحة القرشي الشافعي، أبو سالم، ولد بالعمرية من قرى نَصِيْبِيْنَ سنة ٥٨٢هـ، سمع بنيسابور من المؤيد الطوسي وزينب الشعرية وحدث بحلب ودمشق وكان صدرا معظما محتشما، له كتاب مطالب السؤول في مناقب آل الرسول عليهم السلام، توفي بحلب في رجب سنة ٦٥٢هـ. الوافي بالوفيات: ج٣/ ٧٦٤.

(٣) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول عليهم السلام: ٢٤٢.

(٤) كَذا ذَكَرَ سيّدُنا المُؤلِفُ. والواقِفُ على كِتابِ (المُدْهِش) للعَلامةِ أبي الفَرَجِ ابْنِ الجَوْزيّ (ت: ٥٩٧) في غَيْرِ ما طَبْعَةٍ لا يَرَى فِيْهِ كَلاماً لمولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام وإنَّما المذكورُ فيه (باب تزويج علي من فاطمة) وَهُوَ خِلْوٌ مِنْ كَلامِهِ عليه السلام كما تَتَبَّع ذلك السيد علي الغريفي سلمه الله تعالى. والظاهر أنَّ المقصود (سِبْطُ ابن الجوزي) (ت: ٦٥٤) فقد ذَكَرَ (السِّبْطُ) المذكورُ في كتابه (تذكرة خَواصِّ الأُمة) - الباب السادس- فَصْلاً في ذِكْرِ كلام أمير المؤمنين عليه السلام.

(٥) كذا في الأصل المخطوط والنسخ المطبوعة، لكن الظاهر انه أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجكي، من مشايخه الشيخ المفيد والسيد المرتضى، له كتاب كنز الفوائد الذي اخذ عنه جل من أتى بعده وسائر كتبه في غاية المتانة، توفي سنة ٤٤٩هـ. الكنى والألقاب: ٣/ ١٠٨.

(٦) كنز الفوائد: ٢٠٠.

هل في النهج دخيل؟:

ذهب شطر من الكتاب وفيهم الكاتب المعتزلي عبد الحميد بن أبي الحديد فيلسوف المؤرخين إلى القول بأن المجموع في نهج البلاغة من الدفة إلى الدفة معلوم الثبوت قطعي الصدور من أمير المؤمنين عليه السلام من فمه أو من قلمه. يظهر هذا من مقاله الآتي في شرحه على نهج البلاغة ج١٠ص٥٤٦ بعد إيراده لخطبة ابن أبي الشحناء المشهورة ونصه:

(كثير من أرباب الهوى يقولون أن كثيراً من نهج البلاغة كلام محدث صنعه قوم من فصحاء الشيعة وربما عزوا بعضه إلى الرضي أبي الحسن وغيره، وهؤلاء قوم أعمت العصبية أعينهم فضلوا عن النهج الواضح ونكبوا عن بينات الطريق ضلالة وقلة معرفة بأساليب الكلام؛ وأنا أوضح لك بكلام مختصر ما في هذا الخاطر من الغلط فأقول: لا يخلو إما أن يكون كل نهج البلاغة مصنوعاً منحولاً أو بعضه والأول باطل بالضرورة لأنا نعلم بالتواتر صحة إسناد بعضه إلى أمير المؤمنين وقد نقل المحدثون كلهم أو جلهم والمؤرخون كثير منهم وليسوا من الشيعة لينسبوا إلى غرض في ذلك؛ والثاني يدل على ما قلناه لأن من قد آنس بالكلام والخطابة وَشَدا طرفاً من علم البيان وصار له ذوق في هذا الباب لابد أن يفرق بين الكلام الركيك وبين الفصيح والأفصح وبين الأصيل والمولد، وإذا وقفت على كراس واحد يتضمن كلاماً لجماعة من الخطباء أو لاثنين منهم فقط فلابد أن تفرق بين الكلامين وتميز بين الطريقتين.

ألا ترى: أنا مع معرفتنا بالشعر ونقده لو تصفحنا ديوان أبي تمام

فوجدناه قد كتب في أثنائه قصائد أو قصيدة واحدة لغيره لعرفنا بالذوق مبانيّها لشعر أبي تمام ونفسه وطريقته ومذهبه في القريض؟

ألا ترى أن العلماء بهذا الشأن حذفوا من شعره قصائد كثيرة منحولة إليه لمباينتها لمذهبه في الشعر؟

وكذلك حذفوا من شعر أبي نُواس شيئاً كثيراً لما ظهر لهم أنه ليس من الفاظه ولا من شعره ولم يعتمدوا في ذلك إلا على الذوق خاصة؟

وأنت إذا تأملت نهج البلاغة وجدته كله ماءً واحداً وأسلوباً واحداً كالجسم البسيط الذي ليس بعض من أبعاضه مخالفاً لباقي الابعاض في الماهية، وكالقرآن العزيز أوله كأوسطه وأوسطه كآخره وكل سورة منه وكل آية مماثلة في المآخذ والمذهب والفن والطريق والنظم لباقي الآيات والسور.

ولو كان بعض نهج البلاغة منحولاً وبعضه صحيحاً لم يكن ذلك كذلك فقد ظهر لك بهذا البرهان الواضح ضلال من زعم أن هذا الكتاب أو بعضه منحول إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

واعلم أن قائل هذا القول يطرق على نفسه مالا قبل له به، لأنا متى فتحنا هذا الباب وسلطنا الشكوك على أنفسنا في هذا النحو لم نثق بصحة كلام منقول عن رسول الله صلى الله عليه وآله أبداً وساغ لطاعن أن يطعن ويقول هذا الخبر منحول وهذا الكلام مصنوع، وكذلك ما نقل عن أبي بكر وعمر من الكلام والخطب والمواعظ والأدب وغير ذلك، وكل شيء جعله هذا الطاعن - يعني في خطب النهج - مستنداً له فيما ترويه عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الراشدين والصحابة والتابعين والشعراء والمترسلين

فلناصري أمير المؤمنين عليه السلام أن يستندوا إلى مثله فيما يروونه عنه من نهج البلاغة وغيره وهذا واضح) انتهى كلامه.

ونحن النمرقة الوسطى من أهل العلم نقول: إن أخواننا الشيعة يعتقدون بأن الخطب والكتب والكلم المرويات في نهج البلاغة حالها كحال الخطب المروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله التي بعضها متواتر قطعي الصدور وبعضها غير متواتر فهو ظني السند لا نحكم عليه بالانتحال والافتعال إلا بعد قيام الدليل العلمي على كذبه كما أننا لا نحكم بصحته جزماً إلا بعد قيام الدليل، ومن أسند غير هذا إلينا فقد افترى علينا، وكيف يسند منصف إلى الشيعة اعتقاداً بثبوت جميع ما بين الدفتين من هذا الكتاب وفيها ما يخالفهم أكثر مما يوافقهم كَتَأبِيْنِ علي لعمر؟!

ولو كان لذوي الأغراض من الشيعة أن يلعبوا في نهج البلاغة محواً أو إثباتاً لحذفوا هذا التأبين.

وعليه فالاعتدال والحق الذي أحق أن يُتَّبَع يقضيان علينا بأن نجعل لهذا الكتاب من القيمة الدينية ما نجعله لغيره من الجوامع الصحاح والكتب الدينية المعتبرة ونعترف بقيمته الأدبية وتفوقها من هذه الجهة على كل كتاب بعد كتاب الله سبحانه.

دفع الشبهات عن نهج البلاغة:

لقد نال موضوع تصحيح نهج البلاغة منزلة من الوضوح وتنورت أطرافه من حيث كثرة الأسانيد لحد لم يدع مجالاً للمتقوِّلين عليه فيما بحثنا عنه؛ إلا أن البعض ممن ركبوا العصبية ونكبوا عن النهج قد يضربون عن كل هذه الحجج والدلائل صفحاً ويتشبثون بشبهات واهية:

الشبهة الأولى: كثرة الخطب وطولها وتعذر الحفظ والضبط في أمثالها، فإن الخطب الطوال يصعب حفظها وتذكر الفاظها بعد الأجيال.

والجواب عنها: أنها ليست بأعجب من رواية المعلقات السبع والقصائد الأخرى من الأوائل ومن الخطب والمأثورات الضافية التي رويت عن النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وعن غيره ممن تقدم عليه زمانه أو تأخر، في حين أن العناية بالحفظ والكتابة كانت في زمن الراشدين أهم وأعظم مما قبله، ونعتوا ابن عباس بأنه كان يحفظ القصائد الطوال لأول مرة من سماعها وكان مثله في عامة العرب كثيراً ولا يزال حتى اليوم؛ والاعتناء بحفظ خطب الإمام كان أكثر حتى قال مدرس دار العلوم المصرية في كتاب علي عليه السلام ص١٢٥: إن الأدباء والمؤرخين الذين تقدموا الشريف الرضي كانوا يعتقدون أن خطب الإمام عليه السلام كانت بضع مئات، وحكي عن المسعودي أربعمائة ونيفاً وثمانين خطبة.

الشبهة الثانية: إسناد بعض الخطب المروية في النهج إلى القطر

الخارجي[١] وغيره.

والجواب عنها: أن الشريف الرضي أحق بالتصديق في روايته من غيره واعرف بأساليب بلغاء العرب، ولا يبعد أن يكون الذين جاؤوا بعد الإمام اقتفوا أثره في خُطَبِهِ وأفرغوها بألسنتهم، وربما نحلها هؤلاء أشياعهم كما نحلوا معاوية بن أبي سفيان بعض خطب الإمام.

قال مدرس دار العلوم أحمد زكي صفوة المؤرخين:

ومما يستوقف الباحث في هذا الباب ما أورده الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ في البيان والتبيين، قال: قالوا: لما حضرت معاوية الوفاة قال لمولى له: مَنْ بالباب؟

قال: نفر من قريش يتباشرون بموتك.

فقال: ويحك ولم؟

قال: لا أدري.

قال: فوالله ما لهم بعدي إلا الذي يسوؤهم، وأذن للناس فدخلوا فحمد الله وأثنى عليه وأوجز ثم خطبهم خطبة أوردها الجاحظ وعَقّبها بقوله: وفي هذه الخطبة - أبقاك الله - ضروب من العجب: منها أن هذا الكلام لا يُشْبِهُ السبب الذي من أجله دعاهم معاوية، ومنها أن هذا المذهب في تصنيف الناس وفي الإخبار عنهم وعما هم عليه من القهر والإذلال ومن التقية والخوف أشبه بكلام علي وبمعانيه بحاله منه حال معاوية؛ ومنها

---

(١) قَطَرِيّ بن الفُجاءة، أبو نعامة، وأسمه جعونة بن مازن بن يزيد المازني الخارجي، خرج زمن عبد الله بن الزبير، وبقي قَطَرِيّ عشرين سنة يقاتل ويُسلم عليه بالخلافة، قتل سنة ٧٨هـ. وفيات الأعيان: ج٤/٩٣.

إنّا لم نجد معاوية في حال من الحالات يسلك في كلامه مسلك الزهاد ولا يذهب مذاهب العباد وإنما نكتب لكم ونخبر بما سمعناه. والله أعلم بأصحاب الأخبار وبكثير منهم.

وفي الحق أن الناقد المتأمل لا تُخالِجُهُ ريبة في أن هذه الخطبة أحرى بها أن تعزى إلى الإمام، إذ ترى روحه واضحة جلية فيها أسلوباً ومعنى وغرضاً، وكأني بالجاحظ يبغي أن يقول: إن الرواة نحلوها معاوية وهو يتشكك في صدق روايتهم هذه كما يلمح من قوله: (والله أعلم بأصحاب الأخبار وبكثير منهم)، ولكنه يتحرج من المجاهرة بذلك لأنه (إنما يكتب ويخبر بما سمعه).

أقول: ويؤيد ما احتملناه إسناد الوزير الآبي بعض الخطب إلى زيد الشهيد في حين أنها مسندة في النهج إلى جده الإمام عليه السلام ؛ ويعتز سند الشريف الرضي بالمصادر القديمة لخطب النهج التي تروي هاتيك الخطب عن أمير المؤمنين عليه السلام فلا يكون إلقاء زيد الشهيد لها ضرباً من الاقتفاء والاقتباس.

الشبهة الثالثة: إن المجموع من خطبه عليه السلام يتضمن أنباء غيبية وأخبار الملاحم والفتن مما يختص علمه بالله وحده.

والجواب عنها: إنَّ الغيب يختص علمه بالله سبحانه ومن ارتضاهم من أنبيائه وأوليائه وكم حوت السنة النبوية أنباء غيبية وأخباراً عن الملاحم والفتن، وما ذلك عن النبي الكريم إلا بوحي من ربه العليم الخبير، كذلك لا يَنْطِقُ ابن عمه وربيب حجره وصاحب سره في الملاحم والخفايا إلا بخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولقد قيل له عليه السلام : لقد أعطيت يا أمير المؤمنين

علم الغيب؟

فأجاب عليه السلام: ليس هو بعلم غيب وإنما تعلم من ذي علم[١].

ولا غرو فقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله فيه أنه قال: (أنا مدينة العلم وعلي بابها)[٢]، وقول علي عليه السلام: لقد علمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم يفتح من كل باب ألف باب[٣].

فمن أختص من مهبط الوحي ومدينة العلم بمثل هذا الاختصاص لا يستغرب منه أن يملأ الكتب من أسرار الكائنات وكامنات الحوادث ولنعتزل عن خطبه المروية في النهج ونسلك آثاره المتواترة في التاريخ، فقد روى عنه المؤرخون كالمسعودي في مروج الذهب وابن أبي الحديد في شرح النهج ص٤٢٥ مجلد ١ وابن بطة في الإبانة وأبي داود في السنن وغيرهم في غيرها أنه تنبأ بمصير الخوارج حينما أخبره الناس بأنهم عبروا النهر قال عليه السلام: (لا يفلت منهم عشرة ولا يقتل منا عشرة)[٤]، فكان الأمر كذلك.

واستفاض عنه الخبر بمقتله وإنه سوف يخضب أشقاها هذه من هذه - وأشار بيده إلى لحيته وجبهته - وكان إذا رأى ابن ملجم قال:

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

واستفاضت أنباؤه في توسع ملك بني أمية وبني العباس وخبره

---

(١) نهج البلاغة: ج٢/ ١٠.

(٢) تاريخ بغداد: ج ١١/ ٥٠.

(٣) كنز العمال: ج١٣/ ١١٤.

(٤) نهج البلاغة: ج١/ ١٠٧.

بمقتل الحسين في كربلاء[١].

ومما يدلك على جواز مثله واستقاء هذه العلوم من رسول الله صلى الله عليه وآله خبر أم سلمة زوجة النبي بمقتل الحسين قبل وقوعه كما رواه الترمذي في صحيحه، فإذا جاز لمثلها النبأ عن الحوادث المستقبلية واستقائها العلم عن رسول الله صلى الله عليه وآله فلم لا يجوز مثل ذلك من علي عليه السلام وهو عيبة علمه وصاحب سره الذي كان يسكن في ظله ويتحرك في ضوئه؟!

هذا من ناحية الدين وأما من سواها فقد بلغتنا عن ساسة الأمم وحكمائها تنبؤات صادقة عن مصيرها في مسيرها، ونحن لا نماري في ذلك مبدئياً فكيف نماري في المنقول عن ابن عم الرسول صلى الله عليه وآله وترجمان وحيه وخازن علمه؟

الشبهة الرابعة: اشتمال خطب النهج على علوم تولدت في المجتمع الإسلامي بعد عصر الصحابة والتابعين مما يستبعد التحدث عنها قبلاً، كدقائق علم التوحيد وأبحاث الرؤية والعدل والتوسع في كيفية كلام الخالق وابتعاده عن صفات الجسم وكيفياته وتنزهه عن مجانسة مخلوقاته.

وأجاب عنها أحمد زكي صفوة المؤرخين في ص١٢٦ من كتابه علي بن أبي طالب عليه السلام قائلاً: هل في فكر الإمام وحكمه نظريات فلسفية يعتاص على الباحث فهمها ويفتقر في درسها إلى كَدِّ ذهنٍ وكدحِ خاطرٍ، اللهم إلا أنها حكم سائغة مرسلة تمتزج بالروح من أقرب طريق وتدب إلى

---

(١) راجع ص٢٠٨ من المجلد الأول لشرح ابن أبي الحديد على النهج ففيه جمهرة من الروايات في أخباره عليه السلام من المغيبات، وكذا ص٤٢٥ منه.

القلب دون تعمل أو عناء، وليس أحد يماري في أن إيراد العرب للحكمة البالغة وضربهم الأمثال الرائعة فِطْرِيٌّ فيهم معروف عنهم منذ جاهليتهم لما أوتوه من صفاء الذهن واتقاد الحرية وسرعة الخاطر.

وقد اشتهر منهم بذلك كثير قبل الإسلام أفتستكثر الحكمة السامية على علي عليه السلام؟

وهو من علمت سليل قريش الذين كانوا أفصح العرب لساناً وأعذبها بياناً وأرقها لفظاً واصفاها مزاجاً وألطفها ذوقاً!

وقد قدمنا لك أنه عليه السلام ربى في بيت النبي صلى الله عليه وآله منذ حداثته فنشأ وشبَّ في بيت النبوة ومهد الحكمة وينبوعها ولازم الرسول حتى مماته.

وقد قال علي عليه السلام في بعض خطبه: (كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به)[١].

وكان من كبار كتاب وحيه وحفظ القرآن كله حفظاً جيداً وسمع الحديث الشريف ووعاه وتفقه في الدين حتى كان إماماً هادياً وعالماً عيلماً، وفوق ذلك فأنت تعلم أن الشدائد ثِقافُ الأذهان وصِقال العقول تفتق عن مكنون الحكمة وتستخرج عصيها، وقد مرَّ بالإمام حين من عمره حافل بالشدائد مليء[٢] بالعظائم والأهوال.

وحسبه أن يحمل مع ابن عَمِّهِ صلى الله عليه وآله أعباء أمره ويبيته في فراشه ليلة هجرته متعرضاً لأذى المشركين الراصدين للرسول وأن يخوض غمار الحرب في كل غزواته - إلا واحدة - ثم هو يقضي طول خلافته مذ

---

(١) نهج البلاغة: ج٢/١٥٧.

(٢) الوجه أنْ يقول: مَلْآنُ.

بويع إلى أن قتل - أربع سنين وتسعة أشهر - في شجار ونضال وجلاد وكفاح تارة مع عائشة ومناصريها وأخرى مع معاوية وأشياعه ثم يبتلي بخلاف أصحابه عليه ويعاني من اختلاف مشاربهم وتباين أهوائهم وغريب شذوذهم وتحكمهم واعتسافهم ما يضيق عنه صدر الحليم ويندّ معه صبر الصبور.

كل أولئك التجاريب والظروف قد حنكته وصفت من جوهر عقله وثقفت من حديد ذهنه وأمدته بفيض زاخر من الحكم الثاقبة والآراء الناضجة، وما العقل إلاّ التجربة والاختبار؟!

وَإخالُك تذكر ما قدمناه لك آنفاً من أنه كان معروفاً بين الصحابة بأصالة الرأي وسداد الفكر، فكان بعض الخلفاء يفزع إلى مشورته إذا حَزَّ بهِ أمر فيجيد الحز ويطبق المفصل، ولم يكن رضي الله عنه بالرجل الخامل الغمر بل كان من سادة القوم وعليتهم، وكان كل ما يجري من الشؤون السياسية في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وعهد الخلفاء السابقين له بمرأى منه ومسمع بل كان له في بعضها ضلع قوية وشأن خطير؛ هذا المران السياسي الطويل العهد - وهو خمس وثلاثون سنة من بدء الهجرة عدا ما تقدمها أفاده شحذا الذهن وثقوباً في الفكر فليس بمستنكر على مثل علي أن يكون حكيماً - انتهى كلامه.

وأما جوابنا عنها: فهو أن المتأخر أخذ عن المتقدم لأن المتأخر نسب إلى المتقدم، وبيان ذلك: إن علماء الإسلام المتأخرين إنما توسعوا في علومهم بعد ما تعمقوا في آيات التوحيد والمعارف القرآنية وما وصل إليهم من خطب علي عليه السلام وكلمه في أبواب التوحيد وشؤون العالم الربوبي،

حتى أن الحجاج ألقى على علماء التابعين يوماً شبهة الجبر فرده كل منهم أنه أخذ ذلك عن علي بن أبي طالب عليه السلام!

فقال الحجاج: لقد جئتموها من عين صافية[١].

ولقد كان ابن عم رسول الله يفيض على أبناء عصره ومصره بعلوم النبوة ومعارف الدين العالية، إلا أن أكثرهم لم يكونوا ليفهموها بل كانوا يحملون هاتيك الكلم الجامعة إلى من ولدوا بعدهم كما قيل: (رب حامل فقه إلى من هو أفقه)[٢].

ونظير هذا آيات التوحيد والرؤية والكلام والعدل تلك الآيات التي تدبر فيها حكماء الإسلام في القرون المتأخرة وأظهروا معارفها العالية التي لم تخطر ببال أحد في عصر الصحابة.

وأوضح برهان لنا في المقام وجود جمل في خطب نهج البلاغة تنطق بحركة الأرض وتنطبق على أصول الهيئة الجديدة ومسائلها التي حدثت بعد الألف الهجري؛ كقوله عليه السلام في صفة الأرض: (فسكنت على حركتها من أن تميد بأهلها أو تسبخ بحملها)[٣]، وقوله عليه السلام: (وعدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها)[٤]، وكلنا نعلم أن الرأي القائل بتحرك الأرض مع سكونها الظاهر مستحدث من بعد (غاليلو) الايطالي، و(كوبرنيك) الألماني، و(نيوتن) الانكليزي، ورأي ثبوت الحركات العشر للأرض متأخر

---

(١) كنز الفوائد: ١٧٠.

(٢) ينظر الحديث في بحار الأنوار: ج٧٤/ ١٤٦، ومسند احمد بن حنبل: ج٥/١٨٣.

(٣) نهج البلاغة: ج٢/١٩٢.

(٤) نهج البلاغة: ج١/١٧٤.

عنهم جداً.

وكل هذه الآراء حادثة بعد انتشار شروح نهج البلاغة فضلاً عن النهج الذي أشتهر أمره من قبلها فهل يسوغ لامرئ أن يشك في تأليف نهج البلاغة وشروحه بحجة أنها مشتملة على مسائل الهيئة المتأخرة عن الألف الهجري؟

الشبهة الخامسة: اشتمال الخطب على اصطلاحات وجدت في القرون المتأخرة وعلى سبك حديث الطراز كقوله عليه السلام: وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له، نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غيرُ الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصَفَ الله سبحانه وتعالى فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنَّاه ومَنْ ثناهُ فقد جَزَّأه ومن جزأه ...الخ[1].

والجواب عنها: يعرف مما سبق؛ فإنَّ المتأخرين إنما توسعوا في معارفهم بعد العثور على هذه الحكم الجلائل وأختاروا الاصطلاحات من قبيل (الكيف والأين) بعدما استأنسوا بمبادئها في كلام الإمام عليه السلام لأن الكلام نسب إلى الإمام بعد ظهور هذه المصطلحات، بدليل أن أمثال هذه المبادئ مستفيضة في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وفي كلام فصحاء العرب الأوائل ولا يعز المتتبع وافره؛ وأي عاقل يستطيع أن يصوغ هذه الجمل العسجدية ثم ينسبها إلى غيره؟ ولو كان أحد ينسب إلى الإمام شيئاً من المصطلحات بعد تاريخ حدوثها لجاءت في خطبه كلمة الماهية المنحوتة من (ما هي)، واللمية المنحوتة من (لم)، والإنية المنحوتة من (أنه)،

---

(١) نهج البلاغة: ج١/١٥.

والهيولي المنحوتة من (هي الأولى)، وأمثال ذلك من مصطلحات حكماء الإسلام، في حين أن النهج كله خلو عن كل هذا.

ونظير هذا قول أبي نُواسٍ (كأن صغرى وكبرى من فَواقِعها)، الذي يظن فيه سامعه لأول وهلة أنه أخذ عن المنطقيين مصطلحهم في صغرى وكبرى القياس، في حين الاصطلاح متأخر جداً ولا يستلزم تأخره نفي ذلك الشعر المتقدم، ومثل هذا غير عزيز على من طلبه.

ومن الغريب استغراب بعضهم في كلام الإمام استنتاجه الجمل متفرعة بعضها من بعض كقوله عليه السلام: فمن وصف الله سبحانه وتعالى فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه ... الخ. يحسب أن ترتيب الكلام على شاكلة القياس لمؤلف من صغراه وكبراه غير مألوف من العرب في حين أن هذا الحسبان قدح في الأدب العربي من حيث لا يقصد؛ ومعناه أن نظم القياس المعقول قصيٌ عن الذوق العربي، وهذا شيء لا نقبله والعرب هم الأقربون إلى القياس المنقول بفطرتهم وكم له نظير في الكتاب والسنة؟ قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ﴾[1]، وروى البخاري في صحيحه عنه صلى الله عليه وآله: (فاطمة بضعة مني من أغضبها فقد أغضبني ومن أغضبني فقد أغضب الله)[2].

فإذا ورد في أفصح الكلم نظم القياس وتفريع الجمل فهل يستغرب من حفظة القرآن أن يتوسعوا في نظم الأقيسة الاقترانية والاستثنائية في أساليب حديثهم؟

---

(١) الأنفال: ٢٣.

(٢) صحيح البخاري: ج٤/٢١٩.

ولقد قطعنا جهيزة كل خطيب[١] بأن المسانيد المشتهرة إذا حوت خطبة للإمام بأسانيد معتبرة ففير جدير الإصغاء إلى أمثال هذه الشبهات الضعيفة ومضى دفع شبهات أخرى في خلال أبحاثنا الماضية ...

والله يحق الحق وهو أحكم الحاكمين ...

والحمد لله رب العالمين

---

(١) قَطَعَتْ جَهِيزَةُ قَوْلَ كلِّ خَطِيبٍ، يضرب لمن يقطع على الناس ما هم فيه بحَماقة يأتى بها. مجمع الأمثال: ج٢/٩١.

المصادر

١) الأعلام: خير الدين الزركلي/ دار العلم للملايين بيروت – لبنان/ مايو ١٩٨٠م.

٢) أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين/ دار التعارف للمطبوعات بيروت – لبنان/ مايو ١٩٨٠م.

٣) بحار الأنوار: العلامة المجلسي/ دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان/ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٤) تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزَّبيدْي/ دار الفكر بيروت - لبنان.

٥) تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي/ دار الكتب العلمية/ بيروت - لبنان ١٤١٧ - ١٩٩٧م.

٦) تاريخ بغداد:الخطيب البغدادي/ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا/ دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ١٤١٧هـ.

٧) تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي/ علق عليه: خالد عبد الغني محفوظ/ دار الكتب العلمية/ بيروت - لبنان ١٤٢٦هـ.

٨) دستور معالم الحكم: محمد بن سلامة القاضي القضاعي/ دار الكتاب العربي/ بيروت – لبنان ١٤٠١هـ.

٩) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: آقا بزرك الطّهْراني/ المكتبة الإسلامية طهران – ١٣٨٩هـ.

١٠) رجال النجاشي: الشيخ أبو العباس أحمد بن علي النجاشي/

مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة/ ١٤١٦هـ.

١١) سير أعلام النبلاء: الذهبي/ مؤسسة الرسالة بيروت – لبنان/ ١٤١٣ - ١٩٩٣م.

١٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد/ دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه/ ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م.

١٣) عبقرية الإمام علي: عباس محمود العقاد/ المكتبة العصرية صيدا - لبنان.

١٤) عبقرية الشريف الرضي: الأستاذ زكي مبارك/ مطبعة حجازي القاهرة - مصر.

١٥) العِقْدُ الفريد: أبو عمر بن محمد بن عبد ربه الأندلسي/ القاهرة - مصر/ ١٣٦٣هـ.

١٦) الفرقة الناجية: الشيخ إبراهيم بن سليمان القطيفي/ تحقيق ونشر دار المصطفى لإحياء التراث/ بيروت - لبنان/ ١٤٢٢هـ.

١٧) قاموس الرجال: الشيخ محمد تقي التستري/ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة/ شوال المكرم ١٤٢٥هـ.

١٨) كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام / محمد بن يوسف الكنجي الشافعي/ تحقيق: محمد هادي الأميني/ دار إحياء تراث أهل البيت عليهم السلام / إيران – طهران ١٤٠٤هـ.

١٩) كنز العمال: المتقي الهندي/ ضبط وتفسير: الشيخ بكري حياني/ مؤسسة الرسالة/ بيروت - لبنان ١٤٠٩هـ.

٢٠) كنز الفوائد: أبو الفتح الكراجكي/ طبعة حجرية/ مكتبة المصطفوي- قم.

٢١) الكنى والألقاب: الشيخ عباس القمي/ المطبعة الحيدرية النجف/ ١٣٨٩هـ.

٢٢) لسان العرب: محمد بن مكرم ابن منظور/ دار صادر بيروت - لبنان/ ١٩٥٥م.

٢٣) مجمع الأمثال: لأبي الفضل أحمد النيسابوري الميداني/ مطبعة السعادة مصر/ ١٣٧٩هـ.

٢٤) مسند احمد: الإمام احمد بن حنبل/ دار صادر - بيروت - لبنان.

٢٥) مصادر نهج البلاغة وأسانيده: السيد عبد الزهراء الخطيب/ مؤسسة الأعلمي بيروت - لبنان. شرح نهج البلاغة: الشيخ محمد عبده/ دار المعرفة بيروت - لبنان.

٢٦) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول عليهم السلام: محمد بن طلحة القرشي الشافعي/ تحقيق: ماجد أحمد العطية.

٢٧) معاني الأخبار: ابن بابويه القمي الصدوق/ المطبعة الحيدرية النجف/ ١٣٩١هـ.

٢٨) معجم الأدباء: ياقوت الحموي/ مطبوعات دار المأمون القاهرة - مصر.

٢٩) معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية: عمر رضا كحالة/ مكتبة المثنى ودار أحياء التراث العربي/ بيروت - لبنان.

٣٠) معجم المطبوعات العربية: اليان سركيس/ مكتبة آية الله المرعشي

النجفي - قم المقدسة/ ١٤١٠هـ.

٣١) معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام: عبد الجبار الرفاعي/ وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي/ طهران- إيران.

٣٢) المناقب: الموفق بن أحمد الخوارزمي/ تحقيق: الشيخ مالك المحمودي ومؤسسة سيد الشهداء عليه السلام / مؤسسة النشر الإسلامي/ إيران – قم.

٣٣) النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير/ تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي/ مؤسسة إسماعيليان/ قم – إيران.

٣٤) نهج البلاغة: دار الذخائر/ قم – إيران.

٣٥) الوافي بالوفيات: الصفدي/ بيروت - دار إحياء التراث/ ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٣٦) وجه لبنان الأبيض معجم القرن العشرين: الدكتور طوني يوسف ضو/ شركة M.C.A.S.A.N.L بيروت - لبنان.

٣٧) وفيات الأعيان وأبْناءِ الزمان: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان/ دار صادر بيروت.

الفهرس

الإهداء	٣
قيل في نهج البلاغة	٥
مقدمة قسم الشؤون الفكرية الثقافية	٧
مقدمة مركز احياء تراث السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني	١١
كلمة التعليق	١٣
طبعات الكتاب	١٥
ترجمة المؤلف	١٧
ولادته	١٨
نشأته في سامراء	١٩
أخلاقه	٢١
أساتذته	٢٢
مجيزوه بالاجتهاد	٢٣
تلامذته	٢٤
مشايخه في الحديث	٢٥
و أما أبرز الرواة عنه	٢٧
مؤلفاته	٢٩
رحلاته	٣١
فاجعة بصره	٣٤

ذريته و عقبه المبارك ٣٦
أما الأولاد : ٣٧
وفاته ٣٨
صورة من المخطوط ٤١
مقدمة المؤلف ٤٥
مؤلف نهج البلاغة و غرضه الشريف ٥٣
سر الشك في نهج البلاغة ٦٣
صحة إسناد الشقشقية ٦٤
الشقشقية كما في نهج البلاغة ٦٦
الشقشقية كما في نسخة الآبي ٦٩
الشقشقية كما في إرشاد المفيد ٧١
شقشقية البرقي عن كتاب علل الشرائع ٧٣
شقشقية الجلودي عن كتاب معاني الأخبار ٧٥
الناقلون للخطبة الشقشقية قبل الرضي ٧٧
الدفاع عن الشقشقية ٨٧
الجامعون لخطب الإمام قبل الرضي ٨٨
مصادر قديمة لما في نهج البلاغة ٩٥
هل في النهج دخيل؟ ١٠١
دفع الشبهات عن نهج البلاغة ١٠٤
المصادر ١١٥
الفهرس ١١٩

ماهو نهج البلاغة؟

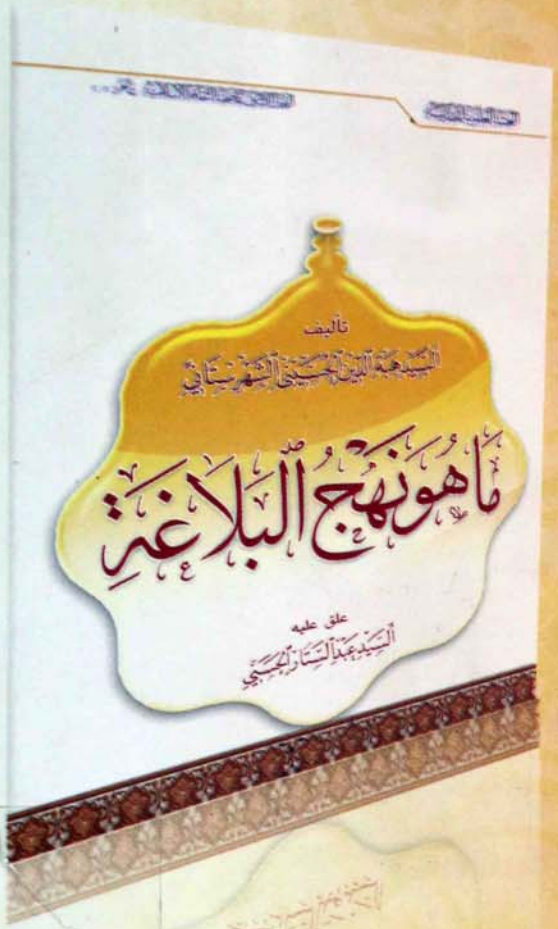

محاولة رصينة من مَعْلَمٍ فذ من معالم الفكر الإسلامي لرد التقولات و الإدعاءات الفاسدة في نسبة نهج البلاغة لغير أمير المؤمنين عليه السلام

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

www.imamali-a.com info@imamali-a.com

دار الضياء للطباعة والتصميم